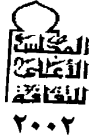


المشروع القومي للترجمة

# إيزابيل

( رواية )

تأليف: أندريه جيد  
ترجمة: د . حمادة إبراهيم





**المشروع القومي للترجمة**

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٠٥
- إيزابيل ( رواية )
- أندريه جيد
- د . حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة لمختارات من شعر جون دن  
عن كتابه :

Seventeenth - Century Prose and Poetry

2<sup>nd</sup> Edition

Selected and Edited By :

A . M . Witherspoon

F . J . Warnke

Harcourt , Brace & World, Inc.

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات  
والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي  
اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى  
للثقافة



## تقديم

شاعر وروائي ومؤلف مسرحي وكاتب مقال، وواحد من أعظم مفكرى القرن العشرين، ولد فى باريس عام ١٨٦٩ ومات فيها عام ١٩٥١. كان أبوه أستاذًا للقانون، وأمه نورماندية بورجوازية وكلاهما من البروتستانت المتشددين، مات أبوه وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فلم يضطر إلى طرق أبواب الرزق، إذ كانت أسرته على درجة عظيمة من الثراء، مما أتاح له فرصة القراءة والتأمل.

قام على تربيته نفر من النساء نخص منهن أمه، وكانت تشدد الرقابة عليه، فعاش الطفل فى جو من الكبت والتضييق الشديدين، الأمر الذى يفسر نزعة التمرد والثورة التى سنجدتها فى كتاباته وبخاصة فيما يتعلق بالأسرة.

لقد بدت ملامح هذا التمرد مع باكورة أعمال "جيد" : "كراسات أندرية فالتير" التى كتبها فى الفترة بين العشرين والثامنة والعشرين من عمرة بتأثير تربيته المتزمنة، ونتيجة لاتصاله بكل من "مالأرميه"، "هويسمان" و "ماتريلينك".

وإذا كان "جيد" فى هذه الكراسيات يعبر عن أماله فى وجود الأسرة المثالية، فإنه منذ ١٨٩١، أى منذ كتب "بحث ترسييس"، يؤرخ انحطاط

الرجل باليوم الذي فكر فيه أن يتخذ من المرأة رفيقا له، وظل "جيد" طوال حياته يمجّد الحرية ويسعى إلى تحرير نفسه وتحرير الإنسان، ويرى أن على كل إنسان أن يكتشف ذاته بنفسه ويعمل على السمو بها عن طريق العمل الدائب المتواصل، وهذا ما نجد صداه في المؤلفات التي كتبها في شبابه مثل: "الأقوات الأرضية"، "الشاذ" أو "الإباحي".

وبعد أن انقضت فترة الشباب، بدأ "جيد" يشعر بالصراع بين المغامرة وبين التعقل، بين المتعة الذاتية وبين التضحية والإيثار، فبعد "ميشيل" بطل "الشاذ" الذي لا يأبه لأي قيد يقدم لنا "اليسا" بطل "الباب الضيق"، التي ترفض السعادة الدنيوية، وبعد "لافكاديو" الذي يهزأ بالقوانين والعرف، نرى بطل "السيمفونية الريفية"، رجل الدين الذي يكافح نزواته، ثم كتب "جيد" "المزورون" وهي تتضمن كل آرائه القديمة والمستقبلية.

وبعد ذلك تأتي مرحلة الاعترافات وتشمل: "لو أن البذرة لا تموت"، وهي مراسلات جيد مع "فاليري"، "كلوديل"، ثم "اليوميات" و "تيزيه"، وفي هذه الأعمال يسجل جيد ما يروقه.

وكان جيد والمجتمع الفرنسي على غير اتفاق، ولكن "جيد" حصل في عام ١٩٤٧ على نصر عالمي عندما استحق جائزة نوبل. وكان جيد منذ عام ١٨٨٩ قد شرع في كتابة يومياته التي نشرها عام ١٩٣٩، وظل يضيف إليها حتى عام ١٩٤٧، وأصبحت هذه اليوميات ذات قيمة عظيمة فيما يتعلق بشخصية الكاتب ومؤلفاته وأحداث عصره.

فى أواخر حياة "جيد" بدأ الناس يتحدثون عنه بنوع من التعظيم والتبجيل انعكس على الكاتب الكبير سلبا، فملأه الغرور الذى يصيب كثيرين من الكتاب والفلاسفة حينما يرفضون كل غيب دينى وأية قاعدة لا تفرزها عقولهم. نلمس صدق ذلك فى هذه العبارات على لسان "تيريه" أحد أبطاله معبرا عن خلاصة تجارب جيد فى حياته الطويلة:

"لقد أقمت مدينتى، ومن بعدى، سيسكنها فكرى مخلدا إلى الأبد، وأنا أشعر بالرضا لأننى أطرق باب الموت وحيدا، فقد تمتعت بخيرات الأرض، ويطيب لى أن أتصور أن الناس، من بعدى، وبفضلى، سيكونون أسعد حالا، وأفضل وضعاً، وأكثر حرية، ومن أجل خير الأجيال البشرية القادمة، قمت بعملى. لقد عشت حياتى".

أما عن "إيزابيل" فهى من أكثر كتابات "جيد" اعتدالا، فإذا كان "جيد" يهاجم التزمت البغيض عند رجل الدين والرقابة الشديدة التى فرضها الوالدان على الفتاة، فإنه لا يؤيد إيزابيل فى إسرافها فى الانطلاق والتحرر من كل قيد.

#### د. حمادة إبراهيم



## شخصيات الرواية

Gerad Lacase	جيرار لأكاز
Benjamin Floche	السيد/ بنيامين فلوش
Mme Floche	مدام فلوش
Saint- Aureol	سانت - أوريول
Mme de Saint-Aureol	مدام دسانت أوريول
L'Abbé Sanyal	القس سانتال
Isabelle	إيزابيل
Casimir	كازيمير
Mlle Verduze	الآنسة فيرديور
Gratien	جراسيان



قام "جيراز لاکاز"، الذى تلاقينا عنده فى شهر أغسطس عام ١٨٩١، باصطحابى أنا و "فرنيس جام" فى زيارة لقصر "الكارفورش" الذى سرعان ما اندثرت آثاره ولم يبق منه سوى أطلال خربة وحديقة واسعة مهملّة، كان الصيف المتبهرج يصل فى أرجائها ويجول، ولم يعد هناك ما يحمى مدخل القصر، فالخندق أصبح مردوماً إلى نصفه، والسياح المحيط به تحطم، والباب الحديدى لم يعد مكيّناً، فانهرف مستسلماً لأول دفعة من كتف أحدنا، كذلك لم تعد هناك ممرات، فقد جاوزت الأرض الخضراء حدودها، فكنت ترى بعض الأبقار طليقة ترعى الكلال الغزير، بينما كانت بعض الأبقار الأخرى تنشد مكاناً رطباً وسط الأدغال المترامية، وكان الناظر لا يكاد يميز، هنا وهناك، بين هذا الفيض البرى، زهرة شاذة أو أوراق شجرة غريبة تختلف عن النباتات القديمة، وبقيت صابرة تكاد تخنقها أنواع النباتات الشائعة.

كنا نسير فى أثر "جيراز" دون أن ننطق بكلمة، فقد كنا مبهورين بروعة المكان والفصل والساعة، وكنا نشعر بكل ما ينطوى عليه ذلك الرخاء من حزن وهجران، وبلغنا سلم القصر، وكانت درجاته الأولى غارقة فى الأعشاب، أما درجاته العليا فقد كانت محطمة ومنفصلة بعضها عن البعض الآخر، ولكننا ما أن وصلنا أمام أبواب حجرة الاستقبال، التى كانت تستخدم نوافذ فى الوقت نفسه، حتى اعترضت طريقنا مصاريعها المنيعّة، ولم نستطع أن ندخل القصر إلا من فتحة

القبو، تسللنا خلالها كما يفعل اللصوص، وكان ثمة سلم يفضى إلى المطابخ، فلم نجد باباً واحداً من الأبواب الداخلية مغلقاً... وتقدمنا منتقلين من حجرة إلى حجرة فى حذر؛ لأن الأرضية كانت تميد تحتنا كأنما توشك أن تنهار، وكنا نكتم صوت خطواتنا، ليس خشية أن يكون هناك من يسمعون، وإنما لأن الصدى الذى أحدثه وجودنا فى ذلك القصر الخالى الذى كان يكتنفه السكون المطبق كان يدوى بلا تحفظ ولا مراعاة، ويكاد يفزعنا، وكانت نوافذ الطابق الأرضى تخلو من ألواح كثيرة. وفى شبه الظلام الذى كان يكتنف حجرة الطعام، كانت هناك أعشاب البينونيّا ترسل من خلال مصراعى النافذة سيقاناً ضخمة لينة بيضاء اللون.

كان "جيرار" قد تركنا، فظننا أنه أثر أن يرى وحده مرة أخرى هذه الدار التى عرف أصحابها، فواصلنا زيارتنا بدونه، وربما كان قد سبقنا إلى الطابق الأول مجتازاً تلك الحجرات الجرداء التى كانت تخيم عليها الكآبة، وكان يوجد فى إحدى تلك الحجرات غصن من البقس لايزال يتدلى على الجدار يقبده إلى إيزيم شريط حريرى ذوى لونه، ولاح لى أنه يتأرجح عند طرفى رباطه فى ضعف فأيقنت أن "جيرار" قد انتزع منه غصناً صغيراً عند عبوره قبل قليل.

ولقيناه فى الطابق الثانى قريباً من نافذة أحد الممرات، وكانت هذه النافذة قد نزع عنها زجاجها وكانوا قد أنفثوا منها إلى الداخل حبلاً



كان يتدلى من الخارج، وكان هذا الحبل لأحد الأجراس، ولقد هممت  
بجذبه في هواده، عندما شعرت بذراع "جيرار" تقبض على ذراعي، ويدل  
أن توقف حركتي زادات من مداها.

وعلى حين فجأة، نوى صوت محبوس، قريب منا وشديد، بحيث إنه  
جعلنا ننتفض فزعين، وبعد ذلك، وعندما عاد السكون إلى الإطباق،  
سمعنا دقتين متباعدتين لم يلبث أن غاب صدهما.

والتفت ناحية "جيرار" فرأيت شفثيه ترتعدان، وقال:

- هيا ننصرف، فإنني في حاجة إلى استنشاق هواء آخر.

وما أن أصبحنا في الخارج، حتى اعتذر عن اصطحابنا بحجة أنه  
يعرف شخصاً في الأحياء المجاورة ويريد أن يستفسر عن أحواله، ولما  
فهمنا من لهجته أنه ليس من اللائق أن نصحبه، عدت أنا و "جام" إلى  
"الر..." حيث لحق بنا "جيرار" في المساء.

وبعد قليل، قال له "جام":

- صديقي العزيز، أعلم أنني قررت ألا أروي أية قصة قبل أن  
تطلعنا على هذه القصة التي نراها تملك عليك فؤادك- وللعلم فقد كانت  
قصص "جام" مبعث المتعة في سهراتنا.

فبدأ "جيرار" قائلاً:

- يسعدني أن أروي لكم القصة التي كانت هذه الدار التي قمنا  
بزيارتها قبل قليل، مسرحاً لها، ولكنني بالإضافة إلى أنني لا أستطيع أن



أعرضها أو أن أستعيدها كاملة غير منقوصة، فإننى كذلك أخشى ألا  
أتمكن من ذلك فى نظام وتسلسل، دون أن أسلب كل واقعة منها ذلك  
السحر الذى يغلف الألفاظ والذى كان فضولى فيما مضى يخلعه عليها.

فعقب "جام" قائلا:

- لا تبال بنظام أو تسلسل.

وقلت أنا.

- ما الداعى إلى رواية الوقائع طبقا لتسلسلها التاريخى؟ وما المانع

فى أن تعرضها كما عرضت لك؟

فقال "جيرار":

- إذن تتيجان لى أن أتحدث عن نفسى كثيرا.

فرد "جام" على الفور قائلا:

- لا أحد منا يفعل غير ذلك.

وإليكم القصة التى رواها جيرار:

يكان أن يكون من العسير اليوم أن أدرك اللفة التي كانت تدفعني إلى الحياة في ذلك الوقت، فقد كنت في الخامسة والعشرين لا أكاد أدري من الحياة شيئاً إلا عن طريق الكتب، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كنت أظن نفسي روائياً، فقد كانت لا أزال أجهل كيف أن الأحداث تحجب عن عيوننا، في دهاء وخبث، ذلك الجانب الذي قد يزيد اهتمامنا بها، وكيف أنها تستغل وتمتنع أمام من لا يعرف كيف يفتحهما.

كنت في ذلك الوقت أعد للدكتوراه رسالة عن تاريخ مواعظ "بوسويه"<sup>(١)</sup> ولم يكن ذلك عن ميل خاص يجذبني إلى بلاغة المناظر، وإنما وقع اختياري على هذا الموضوع تكرماً لأستاذي الكهل "البير دينوس" الذي كان كتابه العظيم "حياة بوسويه" وشيك الصدور، وما أن علم الأستاذ "دينوس" بموضوع دراستي حتى أبدى استعداداه لمعاونتي في معالجته وتناوله، وكان من أقدم أصدقائه شخص يدعى "بنيامين فلوش"، كان عضواً في مجمع الخطوط والآداب.

(١) أسقف وخطيب وكاتب فرنسي (١٦٢٧ - ١٧٠٤) أصبح في عام ١٦٨١ مطرانا لمدينة "مو"، ومن هنا جاء لقبه "نسر مو" كما سيرد في هذا الكتاب. (المترجم).

وكان هذا الصديق يملك من الوثائق ما قد يفيدنى فى بحثى، وبخاصة نسخة من التوراة فيها شروح وحواش بخط "بوسويه"، وكان السيد "فلوش" قد اعتزل الحياة منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما، واعتكف فى قصر "الكارفورش" الذى كان الناس يطلقون عليه فى أغلب الأحيان "كارفور"، وهو من ممتلكات الأسرة فى ضواحي "بون ليفيك" ولم يعد السيد "فلوش" يبرح قصره هذا، وكان من دواعى سروره أن يستقبلنى فيه وأن يضع تحت تصرفى مستنداته ومكتبته وعلمه الغزير الذى قال لى عنه الأستاذ "دينوس" إنه علم لا ينضب له معين.

وبدأ السيد "دينوس" والسيد "فلوش" يتبادلان الرسائل، وتبين أن الوثائق كانت أكثر مما توقعت فى بادئ الأمر بناء على تقدير أستاذى، ولم يعد الموضوع مجرد زيارة، وإنما تحول إلى إقامة فى قصر "الكارفورش" تلطف السيد "فلوش" فعرضها علىّ بناء على توصية من السيد "دينوس"، ومع أن السيد "فلوش" وزوجته كانا بلا ولد، فقد كانا لا يعيشان فى القصر بمفردهما.

إن بعض الكلمات التى صدرت عفوا عن السيد "فلوش" وتولاها خيالى، جعلتنى أتوقع أن أجد فى القصر صحة جميلة سرعان ما اجتذبتنى أكثر من وثائق القرن السابع عشر الجليل المعفرة بالأتربة، وإذا بى أجدنى أدخل القصر لاطالبا للعلم وإنما للمغامرة.

وإذا بى أملؤه بالمغامرات قبل أن أدخله. "الكارفورش"! كنت أردد هذا الاسم الغامض وأحدث نفسى قائلا: ها هنا يتردد هرقل... إننى

كذلك أعرف ما ينتظره على درب الهدى والفضيلة، ولكن، الطريق الآخر؟... الطريق الآخر؟

وفي منتصف سبتمبر تقريبا، جمعت أحسن ما كان فى صوان ملابسى من ثياب متواضعة، وجددت ما كان لدى من أربطة العنق، ثم رحلت.

وعندما بلغت محطة "بروى - بلانجى" بين "بون ليفيك" و"ليزيو"، كان الليل قد أسدل كل أستاره تقريبا، وكنت الوحيد الذى أنزل من القطار، وأقبل قروى يرتدى زى الخدم، فأخذ حقيبتي وصحبني إلى العربة التى كانت تقف فى الجانب الآخر من المحطة، فإذا بمنظر الجواد والعربة يوقف من اندفاع خيالى وانطلاقه، فلا يمكن للإنسان أن يتصور منظرا أكثر منه بشاعة وقبحا، وعاد القروى الحوذى ليخلص صندوق الأمتعة الذى كنت قد شحنته، وتحت هذا الثقل زاءت زنايك العجلات، ومن داخل العربة انتشرت رائحة خانقة أشبه بتلك التى تفوح من مرقد الدجاج... وأردت أن أنزل زجاج الباب، إلا أن مقبضه الجلودى نُزع فى يدي، وكان السماء قد أمطرت أثناء النهار، فكان الطريق موحلا، وعند أول منحدر سقطت قطعة من طاقم الجواد، فأخرج الحوذى من تحت مقعده طرفا من حبل، وتنهياً لإصلاح مجرة العجلة، وكنت قد نزلت من العربة، فعرضت على الحوذى أن أمسك له المصباح الذى كان قد أشعله منذ قليل، وعندئذ استطعت أن أرى أن زى الرجل المسكين، كما هى حال طاقم الجواد، قد أعيد رتقه أكثر من مرة، فقلت عفوا:

- إن الجلد قديم بعض الشيء .
- فرمقني بنظرة وكأنني شتمته، وقال بلهجة تكاد تكون فظة :
- لعمري، ومع كل فمّن حسن حظك أن تمكّنا من المجيء للقاءك .
- فسألته بأرق صوت نطقت به :
- هل المسافة بعيدة من هنا حتى القصر؟
- ولم يجب برد مباشر، بل قال :
- من المؤكد أننا لا نقطع هذه المسافة كل يوم .
- ثم أردف بعد لحظة :
- ها قد مضت ستة أشهر تقريبا ولم تخرج العربة .
- فعقبت في محاولة يائسة لفتح باب المناقشة :
- أولا يتنزه سادتك؟
- لعلك تظن أنه ليس لدينا من عمل سوى ذلك !
- كان قد انتهى من إصلاح العطب، فدعاني بإشارة إلى الصعود مرة أخرى، وعندئذ انطلقت بنا العربة من جديد .
- كان الجواد يجتهد في ارتقاء المرتفعات، ويتعثر ويكبو في المنحدرات ويعدو في السهل عدوا مخيفاً، وفي بعض الأحيان كان يتوقف على حين بغتة، وحدثت نفسي قائلاً: "على هذا النحو الذي نسير عليه، سنصل إلى "الكارفور" بعد أن يكون أهل الدار قد فرغوا

من تناول طعامهم قبل وقت طويل، بل (الجواد يتوقف مرة أخرى) وحتى بعد أن يكونوا قد ناموا". كنت أشعر بجوع شديد، فبدأ مزاجي ينحرف، وحاولت أن أشاهد البلدة، وإذا بالعربة، ودون أن ألاحظ، قد انحرفت عن الطريق الرئيسي وسلكت طريقاً آخر أضيق وأقل تمهيداً بكثير، ولم تكن مصابيح العربة تضيء عن يميننا وشمالنا إلا سياجاً متصلاً، كثيفاً مرتفعاً، كان يبدو أنه يحاصرنا ويسد علينا السبيل، يفسح لنا الطريق في لحظة مرورنا، ثم لا يلبث أن يطبق من جديد بعد عبورنا.

وما أن بلغت العربة ربوة وعرة الارتقاء، حتى توقفت من جديد، وأتى الخوذي إلى الباب ففتحه ثم قال بكل بساطة:

- هل يتكرم سيدي بالنزول؟ إن المطلع وعمر بعض الشيء على الجواد.

وصعد بنفسه المطلع ممسكاً بزمام الجواد، وفي منتصف المسافة، التفت نحوي، وكنت أسير وراءه، وقال لي بنبرة رقيقة:

- لقد وصلنا بسرعة، انظر، ها هي الحديقة.

واستطعت أن أميز أمامنا دغلاً كثيفاً من الأشجار، كان يمثل طريقاً تحفه أشجار الزان الضخمة، سرعان ما خضنا فيهو فالتقينا بالطريق الأول الذي كنا قد انحرفنا عنه، ودعاني الخوذي إلى الصعود إلى العربة مرة أخرى وسرعان ما بلغنا الباب الحديدي، فتسللنا إلى الحديقة.

كان الليل من السواد بحيث لم أستطع أن أميز شيئاً من واجهة القصر، وأوصلتني العربة أمام سلم يتألف من ثلاث درجات فارتقيتها مبهوراً من ضوء المشعل الذي كانت تحمله في يدها وتسلمته نحوى امرأة خالية من معالم الحسن وملامح الجمال، سمينة الجسم متواضعة الزى، وحيثنى تحية يشوبها الجفاء، فانحنيت لها، وقلت متردداً:

- مدام "فلوش" طبعاً؟

- بل الآنسة "فيردور". إن السيد "فلوش" وزوجته نائمان، وهما يعتذران عن عدم حضورهما لاستقبالك، فالناس هنا يتناولون عشاءهم فى وقت مبكر.

- وأنت يا آنستى، لقد جعلتك تسهرين حتى ساعة متأخرة.

فقلت دون أن تلتفت:

- أوه! أما أنا، فقد اعتدت ذلك.

كانت قد سبقتنى إلى الدهليز فأردفت قائلة:

- أظنك لا تمنع فى تناول شىء ما؟

- الحق أقول، إننى لم أتناول عشاءى.

فأدخلتنى حجرة طعام فسيحة قد أعدت فيها وجبة عشاء دسمة من تلك الوجبات التى تعقب الصوم.

- إن الفرن مطفأ فى هذه الساعة، وفى الريف يجب أن يقنع الإنسان بما يجده.



فقلت وأنا جالس إلى المائدة أمام صحن من اللحم البارد:  
- ولكننى أجد كل هذا عظيما.

وجلست منحرفة على كرسى بالقرب من الباب، وطوال تناولى الطعام، ظلت خافضة الطرف، وحاولت عدة مرات، كلما انقطع جبل الحديث، أن أعتذر لها عن استيقاظها إلى جوارى، ولكنها جعلتنى أدرك أنها تنتظر حتى أفرغ من عشاءى لترفع المائدة.

- وحجرتك، لو انصرفت أنا، كيف ستعرفها بمفردك؟

فتعجلت أمرى، وضاعفت من حجم اللقمة، وإذا بباب الدهليز ينفتح، ويدخل منه قس أشيب الشعر، صارم الوجه لكنه لطيف، فأقبل نحوى وهو يبسط يده قائلا:

لم أشأ أن أرجىء إلى الغد الاستمتاع بتحية ضيفنا، ولم أنزل إليك قبل الآن لأننى كنت أعلم أنك تتبادل الحديث مع الأنسة "أوليمب فيردور".

قالها وهو يوجه إليها ابتسامة خبيثة، بينما كانت هى تزم على شفيتها وتبدى سحنة من خشب، واستطرد يقول بينما كنت أغادر المائدة:

- أما الآن وقد انتهيت من طعامك، فستترك الأنسة أوليمب هنا تعيد النظام إلى المكان، وأعتقد أنها ترى من الأليق أن توكل إلى رجل أمر اصطحاب السيد "لاكاز" إلى حجرة نومه، وأن تتنازل عن مهام وظيفتها فى هذا الصدد.

وانحنى أمامها متكلماً بالاحترام، فحيته بطريقة مقتضية:  
- أوه! إننى أتناول لك... يا سيدى القس، كما تعلم أتناول دائماً...

ثم استطردت وعادت إلينا فجأة:

- كنت ستسئني أن أسأل سيدى "لاكاز" عما يتناوله فى فطوره.  
- ما تشائين يا آنسى... ماذا تتناولون هنا فى العادة؟  
- كل شيء.. أعد الشاي للسيدات، والقهوة للسيد "فلوش" والحساء لسيدى القس، والراكية<sup>(١)</sup> للسيد كازيمير.  
- وأنت يا آنسى، ألا تتناولين شيئاً؟  
- أوه، أما أنا، فإننى أتناول القهوة باللبن وحسب.  
- لو سمحت، سأتناول معك قهوة باللبن.  
فقال القس وهو يسكنى من ذراعى:  
- إيه! إيه! خذى حذرك يا آنسة "فيردور"، يبدو لى أن السيد "لاكاز" يغازلك! فهزت كتفها، ثم حيتنى تحية سريعة، بينما القس يسحبني معه.

كانت حجرتى تقع فى الطابق الأول فى نهاية الدهليز.  
وقال القس وهو يفتح باب حجرة فسيحة تضيئها جمرة كبيرة تنقد فى مدفأة:

(١) كلمة مأخوذة عن العربية، وهى مشروب يتألف من السحلب والكاكاو ومسحوق البطاطس والأرز والسكر والفانيليا. (المترجم).

- عفسوك اللهم! لقد أوقدوا لك نارا... ربما كنت فى غنى عنها... صحيح أن الليل فى هذه البلدة يكون رطبا، وفصل الشتاء هذا العام مطير بطريقة غير عادية.

كان قد اقترب من المدفأة فبسط لها راحتيه العريضتين محولا وجهه عنها... وكأنه عابد ورع يدفع عن نفسه محاولات الإغراء، وكان استعدادة للحديث يبدو لى أكثر من استعدادة لتركى لكى أنام.

فبدأ حديثه قائلا وقد رأى صندوقى وحقيبتى:

- آه، لقد أحضر لك "جراسيان" أمتعتك.

فسألته قائلا:

- أهو جراسيان، ذلك الخوذى الذى صحبتنى؟

- وهو أيضا البستاني، لأن أعماله كخوذى قلما تشغل وقته.

- لقد أخبرنى بالفعل أن العربة لا تخرج كثيرا.

- إن خروجها يعتبر حدثا تاريخيا، ثم إن السيد "سانت - أوربول" لم يعد يملك جيادا منذ زمن بعيد، ولذلك ففى المناسبات الكبرى، مثل الليلة، نستعير جواد المزارع.

فرددت مندهشا:

- السيد سانت - أوربول؟

- أجل، أنا أعرف أنك جئت للقاء السيد "فلوش"، ولكن قصر

الكارفورس ملك لشقيق زوجته، وغدا ستتشرف بمعرفة السيد سانت -  
أوريول وزوجته.

- ومن يكون السيد "كازيمير" الذى لا أعرف عنه سوى أنه يتناول  
الراكية فى الصباح؟

- إنه حفيدهما وتلميذى. لقد شاء الله أن أقوم بتعليمه منذ ثلاث  
سنوات.

قال ذلك وهو يغمض عينيه فى خشوع، كأن الأمر يتعلق بأمر من  
أصل نبيل.

فسألته قائلاً:

- أليس أبواه هنا؟

- بل على سفر.

وضغط على شفتيه بشدة ثم استطرد فى الحال:

- أنا أعرف، ياسيدى، أية دراسات نبيلة مقدسة جاءت بك...

فقاطعته فى الحال:

- أوه! لا تبالغ فى قدسيتهما، إنها لا تهمنى إلا من وجهة نظر  
المؤرخ.

فقال وهو يصرف يده كل فكرة بغیضة:

- لا يهم، إن للتاريخ أيضاً حقوقه، وستجد فى السيد "فلوش"  
الطف مرشد وأوثق دليل.

- هذا ما أكده لى السيد "دينوس" .
- آه أو أنت تلميذ "البير دينوس" ؟
- وضغط على شفتيه من جديد . وتجرأت ووجهت إليه هذا السؤال :
- هل درست على يديه؟
- فرد فى جفاء :
- كلا!! إن ما أعرفه عنه جعلنى ألزم الحيطه . . . إنه مغامر  
فكرى . وفى مثل سنك ، ينجذب المرء فى سهولة لما يشذ عن المألوف .  
ولما لم أجب بشيء ، قال :
- لقد كان لنظرياته بعض التأثير على الشبان ، ولكن الناس بدءوا  
يفيقون منها ، على ما بلغنى .
- كانت رغبتي فى الجدل أقل من رغبتي فى النعاس ، ولما وجد أنه  
لن يحصل منى على إجابة ، أردف قائلا :
- سيكو السيد "فلوش" خير ناصح لك .
- ثم قال على أثر تناوب لم أملك دفعه :
- الوقت متأخر . غدا لو أردت ، يمكننا أن نجد وقتا كافيا لاستئناف  
الحديث ، فلا بد أنك مرهق بعد هذا السفر .
- الحق ياسيدى القس ، أن النعاس يهدنى .

وما أن غادر الحجرة، حتى رفعت الخطب من المدفأة وفتحت النافذة على سعتها دافعا مصراعيها الخشبيين، فإذا بهية ريح خفيفة تراقص شمعتي، فأطفأتها لكي أتأمل الليل. كانت حجرتي تفضي إلى الحديقة ولكنها لا تطل على واجهة القصر شأن حجرات الممر التي لا بد أنها تتمتع بمنظر يمتد فيه مدى البصر أطول وأبعد، فسرعان ما أوقف نظرتي مجموعة من الأشجار لا يكاد يظهر فوقها إلا جانب ضئيل من صفحة السماء كان الهلال قد لاح فيها منذ قليل، ثم لم يلبث أن غاب تحت الغمام، وكانت السماء قد أمطرت من جديد، لذلك فقد كانت الأغصان لاتزال تقطر ماء.

وحدثت نفسي وأنا أعيد غلق النوافذ:

- هذا الجو لا يدعو إلى البهجة.

وأمام هذا التأمل الخاطف، سرت الرعدة في نفسي أكثر مما سرت في جسدي، فأعدت الخطب إلى المدفأة وأزكيت النار، وسعدت عندما عثرت في فراشي على جرة ماء دافئ، لاشك أن الأنسة "فيردور" قد دستها فيه بحسن رعايتها.

وبعد لحظة، لاحظت أنني نسيت أن أضع حذائي خارج الحجرة، فنهضت وخرجت برهة إلى الممر، فرأيت في الطرف الآخر من الدار الأنسة فيردور، وكانت حجرتها تقع فوق حجرتي، تبينت ذلك من خطواتها الثقيلة التي شرعت بعد قليل تزلزل السقف من فوق، ثم أطبق صمت عميق، وبينما كنت أستغرق في النوم، رفعت الدار مراساتها لتجتاز رحلة الليل البحرية.

استيقظت من نومى مبكرا على صوت ضوضاء صادرة من المطبخ، وكان أحد أبوابه يفتح تحت نافذتى مباشرة، وعندما دفعت مصراعى النافذة، سعدت بمشاهدة سماء تكاد تكون صافية، أما الحديقة - ولم تكن قد جفت تماما من آثار وابل مطر حديث - فقد كانت تتلالا وكان الجو يميل إلى الزرقة، وعندما كنت أهم بإغلاق النافذة، إذا بى أرى طفلا ضخما يخرج من بستان الخضرارات ويهرول إلى المطبخ، كان من العسير تحديد سنه، لأن وجهه كان يبدو أكبر من جسمه بثلاث سنوات أو أربع، وكان مشوها، به عوج، وكانت ساقاه الملتويتان تجعل مشيته غريبة، فكان يتقدم بانحراف، أو بالأحرى يسير قفزا كئاما لو سار خطوة خطوة فلا بد أن تلتوى ساقاه . . . كان هذا طبعاً " كازيمير " تلميذ القس، وكان يلزمه كلب ضخمة، يثب معه، ويحتفل به، وكان الصبى يحاول أن يحمى نفسه من مغبة هوسة الكلب المربكة، ولكنه ما أن كاد يبلغ المطبخ حتى قلبه الكلب رأسا على عقب، وإذا به يهوى فى الوحل، فهبت إليه سيدة بدينة وقامت بإنهائه وهى تقول :

- آه، عال ! هل يرضى الله عن هذا الذى تصنعه بنفسك !! ومع ذلك فقد نصحناك مراراً بترك " ترنو " فى محط العربية . . هيا ! تعال من هنا لكى أنظفك .

وسحبته إلى المطبخ، وفى هذه اللحظة سمعت طرقة على باب حجرتى، وإذا بخادمة تحمل إلى ماء ساخن لزوم الاغتسال، وبعد ربع ساعة رن الجرس معلنا عن الفطور، وعندما دخلت حجرة الطعام، قال القس وهو يتقد للقائى :

- مدام " فلوش "، أعتقد أن ضيفنا اللطيف قد وصل .

كانت مدام فلوش قد نهضت من مقعدها، ولكنها - وهى واقفة - لم تكن تبدو أطول منها وهى جالسة، فانهنيت أمامها بشدة، فحيتنى بغضبة خاطفة، فلا بد أنها فى فترة من فترات حياتها تلقت ضربة فظيعة فوق رأسها، فظل رأسها غائرا بين كتفيها بطريقة لا سبيل إلى علاجها، وكان السيد "فلوش" قد وقف إلى جوارها باسطة يده ترحيباً بى . كان العجوزان متماثلين فى الطول والملبس والسن واللحم . . ومكثنا عدة لحظات نتبادل التحيات والمجاملات المشابهة ونتحدث ثلاثتنا فى وقت واحد، ثم ساد صمت مهيب، ووصلت الأنسة "فيردور" تحمل إبريق الشاى .

وأخيراً قالت مدام " فلوش " التى لم تستطع أن تدير رأسها، فتوجهت إلينا بكل نصفها العلوى :



- إن صديقتنا الآنسة أوليمب كانت تتحرق لتعرف هل هنت في نومك وهل أراحك الفراش .  
فأجبت بأننى نمت كأهنا ما يكون النوم، وأن جرة الماء الدافئ التى وجدتها فى الفراش عند رقادى أفادتني أعظم الفائدة .  
وخرجت الآنسة "فيردور" بعد أن قدمت لى التحية .  
- وفى الصباح، ألم ترعجك ضوضاء المطبخ؟  
فكررت النفى : فقالت مدام "فلوش" :  
- يجب أن تقدم شكواك، أرجوك، لأنه ما من أمر أسهل علينا من أن نعد لك حجرة أخرى ...  
ودون أن ينبس السيد "فلوش" بكلمة، كان يهز رأسه بانحراف، ويؤيد بابتسامة كل عبارة تنفوه بها زوجته .  
فقلت :  
- إننى أرى جيداً أن الدار رحيّة، ولكننى أؤكد لكم أننى لا يمكن أن أصادف مقاما خيراً من مقامى هنا .  
فقال القس :  
- إن السيد "فلوش" وزوجته يحبان تدليل ضيفهما .  
وجاءت الآنسة " أوليمب" بصحن خبز مقدد، فدفعت أمامها ذلك المخلوق الذى كنت قد رأيته ينقلب على عقبه قبل قليل وجذبه القس من ذراعه قائلاً :

- هيا يا "كازيمير" ! إنك لم تعد طفلا وليدا، تقدم لتحية السيد "لاكاز" كما يفعل الرجال .. أبسط يدك وانظر أمامك ! ثم التفت القس نحوى، وقال كأنه ينتحل له العذر :

- إننا لم نألف بعد عادات المجتمع ..

كان حياء الطفل يحرجنى، فسألت مدام "فلوش" متجاهلا المعلومات التى أمدنى بها القس مساء أمس :

- أهو حفيدك ؟

فأجابت قائلة :

- إنه حفيد شقيقتى، وسترى فيما بعد شقيقتى وزوجها، أى جديه .

وحاولت الأنسة "فيردور" أن تفسر موقف الطفل، فقالت :

- لم يكن يجرؤ على العودة لأنه كان قد لوث ثيابه بالوحل وهو يلعب مع "تيرنو" .

فقلت وأنا ألتفت نحو "كازيمير" فى بشاشة وملاطفة .

- ما أطفه من لعب، لقد كنت أنظر من النافذة عندما قلبك الكلب .. ألم يصبك بسوء ؟ فقال القس بدوره موضحا :

- يجب أن نخبر السيد "لاكاز" أن الطفل لا يجيد الاتزان كثيرا ..

سبحان الله، لقد لاحظت ذلك بنفسى دون حاجة إلى توضيح،

وعلى حين بغتة، إذا بهذا القس الضخم، وكانت عيناه من لونين مختلفين، قد أصبح ثقيلاً بغضاً على نفسه.

لم يجبنى الطفل على سؤالى، إلا أن وجهه أحمر خجلاً، فندمت على سؤالى، فربما وجد فيه تلميحا إلى عاهته، وكان القس قد غادر المائدة بعد أن فرغ من تناول حسائه، وجعل يذرع الحجرة ذهاباً وإياباً، وكان عندما يمسك عن الكلام، يضغط على شفتيه بحيث تكون شفته العليا تنوء أشبه بشفة الكهل الأردم، ثم توقف خلف "كازيمير"، وبينما كان الأخير يفرغ قدحه، قال القس :

- هيا ! هيا أيها الشاب، إن "ابن زهير" فى انتظارنا، فنهض الغلام، وخرج الاثنان.

وما أن انتهى الإفطار، حتى بادرنى السيد "فلوش" وهو يقول :

- تعال معى إلى الحديقة، أيها الضيف الشاب، وزدنى من أخبار باريس المفكرة.

كانت لغة السيد "فلوش" تزدهر مع الفجر، ودون أن ينصت كثيراً إلى إجاباتى، جعل يسألنى عن صديقه "جاستون" وعن دراساتى . . وبالطبع لم أحدثه إلا عن مشروعاتى الأدبية، ولم أكشف له من نفسى إلا عن الجانب الخاص بالسوريون، ثم شرع يقص تاريخ "الكارفورش" الذى لم يبرحه تقريباً منذ خمسة عشر عاماً، وتاريخ الحديقة، وتاريخ القصر وأرجأ إلى حين تاريخ الأسرة التى كانت تسكن القصر قبله، لكنه بدأ يروى لى كيف حصل على مخطوطات

القرن الثامن عشر التي يمكن أن تهمنى فى بحثى . . كان يسير إلى جوارى فى خطى قصيرة مسرعة وثنايا عديدة، ولاحظت أن سرواله كان منخفضا بحيث إنه كان من الأمام يسقط على مقدمة قدمه، أما من الخلف، فقد كان مرفوعا إلى أعلى الخذاء، ولا أدري كيف استطاع أن يحافظ عليه فى هذا الوضع، ولم أعد أنصت إليه إلا بأذن شاردة، فقد كان تفكيرى خاملا من أثر ميوعة الجو الفاتر وبفعل ما يشبه التخدير النباتى، وبينما كنا نسير على تلك الحال فى طريق تحف به أشجار الكستناء العالية التى كانت تشكل قبوا فوق رؤسنا، شارفنا نهاية الحديقة، وهناك، وجدنا مقعدا يحميه من الشمس دغل من الأشجار الظليلة، فدعاني السيد "فلوش" إلى الجلوس، ثم قال فجأة:

- هل أخبرك القس "سانتال" بأن صهرى به شيء من الـ . . ؟  
ولم يكمل، ولكنه لمس جبهته بسبابته.

ولقد بلغ ذهولى حُدا لم أجد معه ما أجيب به، فأردف قائلا:

- نعم، البارون "سانت - أوريول"، صهرى، ربما لم يخبرك القس بذلك كما لم يخبرنى أنا أيضا . . ولكننى أصبحت على علم بأنه يعتقد ذلك، كما أعتقد أنه أيضا . . . وبالنسبة لى، ألم يخبرك القس بأن بى شيئا من الـ . . ؟

- أوه ! سيدى فلوش، كيف تظن أن . .

فقال وهو يربت يدى بلا كلفة:

- ولكن، يا صديقي الشاب، لو صح ظني، فإنني أجده شيئا طبيعيا، ماذا تنتظر؟ لقد اعتدنا هنا أن نعزل عن العالم، نكاد نكون بمنأى عما يجري فيه . لاشيء يحمل إلينا ال . . التغيير، كيف أعبر ؟ نعم . لقد كنت لطيفا إذ جئت لزيارتنا .

ولما حاولت أن آتي بحركة، عاد فقال :

- إنني أعيدها ثانية : كنت لطيفا إذ جئت، وسأقولها هذا المساء لصديقي العظيم "دينوس"، وقد يتراءى لك أن تطلعني على ما يجيش بصدرك من موضوعات، وما يضطرب له فكرك من مسائل ، وما يستحوذ على اهتمامك من مشكلات . . إنني على ثقة أنني لن أدرك مما ستقول شيئا .

بماذا كنت أستطيع أن أجيب ؟ فرحت أخط في الرمال بطرف عصا، فأردف يقول:

- وكما ترى، فقد فقدنا اتصالنا بالعالم الخارجي تقريبا كلا، كلا، لا تعترض، فلن يجدي ذلك شيئا. إن البارون أصم أشبه بالقرعة، ولكنه مدع بحيث إنه يحاول أن يداري صممه، وهو يفضل أن يتظاهر بالسمع عن أن يطلب إلى محدثه أن يرفع صوته . أما بالنسبة لي، فإنني فيما يتعلق بالأفكار التي تشغل العالم اليوم، يبدو لي أنني لا أقل عنه صمما، ومع كل فإنني لا أجد غضاضة في ذلك، بل إنني لا أحاول أن أبذل كبير مجهود لكي أفهم . لقد انتهى بي الأمر، من جراء عشريني "لماسيون" و"بوسويه" إلى الاعتقاد بأن المشكلات التي كانت تورق هاتين العقليتين تعادل في جمالها وأهميتها

تلك المشكلات التي كنت شغوفاً بها في مطلع شبابه . . مشكلات ربما لم تكن تفهمها هاتان العقليتان . . كما أنني لا أفهم تلك المشكلات التي تستهويك اليوم؛ لذلك، لو تكرمت يا زميل المستقبل، فإنني أفضل أن تحدثني عن دراستك، مادامت هي أيضاً دراستي، ولا تؤاخذني إذا لم أسألك عن حب من الموسيقيين والشعراء والخطباء، ولا عن نظام الحكم الذي تفضله .

ونظر إلى ساعة مستديرة تتعلق بشريط أسود وقال وهو ينهض واقفاً :

- فلنعد الآن، إنني أعتبر نهاري ضائعاً إن لم أبأشر عملي في العاشرة . فمددت له ذراعاً فتناولها ! ولما كنت أتمهل في سيري أحياناً من أجله كان يقول لي :

- فلنسرع ! فلنسرع ! ما أشبه الأفكار بالأزهار، ما نقطفه منها في الصباح يحتفظ بنضارته أطول وقت ممكن .

كانت مكتبة " الكارفورش " تتألف من حجرتين يفصل بينهما ستار بسيط، وكانت إحدهما شديدة الضيق يصعد المرء إليها بواسطة ثلاث درجات، وكان السيد فلوش يعمل فيها وهو جالس إلى مكتب أمام نافذة لا تطل على شيء، بسبب وجود درجاة تمد أغصانها حتى تلامس زجاج النافذة، وكان يوجد على المكتب مصباح عتيق له خزان، يعلوه غطاء أخضر من الخزف، وتحت المكتب حشية لتدفئة القدمين، وفي أحد الأركان موقد صغير، وفي الركن الآخر مكتب آخر محمل بالمعاجم، وبينهما خزانة تستخدم رفا لحمل الأوراق، أما الحجرة

الثانية، فقد كانت فسيحة، بها كتب تغطي الجدار وتصل حتى السقف، وكان بها نافذتان، ومكتب كبير فى وسطها.

فقال لى السيد فلوش :

- هنا سيكون مقامك .

ولما صحت معارضا، قال :

- كلا، كلا، إننى اعتدت على الخلوة، والحق أقول إننى أجد فيها راحتي، فيبدو لى أن تفكيرى يتركز فيها . عليك بشغل المكتب الكبير بلا غضاضة، وإذا شئت أسدلنا الستار حتى لا يضايق أحدنا صاحبه .

فقلت معارضا :

- أوه ! ليس من أجلى أنا، فإننى إذا كنت حتى الآن أشعر بضرورة الانفراد أثناء العمل، فإننى لا . . .

فعقب مقاطعا :

- إيه حسنا ! إذن سنتركه مرفوعا، فمن ناحيتى سأجد متعة كبرى فى أن المحك بطرف عيني . وفعلا، ففى الأيام التالية، ما كنت أرفع رأسى عن عملى إلا وألتقى بنظرة الرجل الطيب ويبسم لى وهو يهز رأسه، خشية أن يضايقتنى، أو يحول عينيه عنى ويتظاهر بالانغماس فى القراءة .

وسرعان ما اهتم فوضع تحت تصرفى كما ما أحتاجه من كتب ومخطوطات، وكان معظمها موجودا فى رف الحجرة الصغيرة،

وكانت تفوق في عددها وأهميتها ما ذكره لى الأستاذ "دينوس"، وكان لابد لى على الأقل من أسبوع كامل لكى أنقل البيانات القيمة التى أعثر عليها بين ثناياها، وأخيرا فتح السيد "فلوش" خزانة غاية فى الصغر كانت بجوار الرف وأخرج منها نسخة الكتاب المقدس الشهيرة التى كان يملكها "بوسويه" والتى كان نسر مدينة "مو" قد خط عليها- أمام الآيات التى أصبحت متونا- تواريخ إلقاء العظات التى أوحى له بها تلك الآيات، ودهشت لأن "ألبيير دينوس" لم يستفد من هذه البيانات فى أبحاثه، ولكنى علمت من السيد "فلوش" أنه لم يحصل على هذا الكتاب إلا منذ أمد قصير.

واستطرد قائلا :

- لقد كتبت بالفعل مذكرة بشأنها، وإننى أهتئ نفسى الآن لأننى لم أخبر أحدا بها، فستفيد فى رسالتك بما فيها من جدة وطرافة .

فاعترضت مرة أخرى قائلا :

- إن كل ما لرسالتى من قيمة وفضل، إنما أدين به لفضلك أنت، فهل تتكرم ياسيدى فلوش فتقبل منى أن أهديها لشخصك دليلا بسيطا على عرفانى بالجميل ؟

فابتسم ابتسامة يشوبها الحزن :

- عندما يكون الإنسان موشكا على فراق الدنيا، فإنه يبتسم راضيا لكل ما يحقق له بعض الخلود . ووجدت أنه ليس من الذوق فى شئ أن أتمادى فى هذا الشأن وإذا به يستطرد قائلا :



- والآن، عليك بالاستيلاء على المكتبة، ولا تكثر لوجودى إلا عندما تريد أن تستفسر منى عن شىء . خذ ما يلزمك من أوراق . وإلى اللقاء!

وبينما كنت ألتفت إليه مبتسما وأنا أهبط الدرجات الثلاث، لوح بيده قائلا : إلى اللقاء ! ونقلت إلى الحجرة الكبرى الأوراق التى تمثل باكورة عملى، وبدون أن أبعد عن المكتب الذى كنت أجلس إليه، تمكنت من رؤية السيد "فلوش" فى حجرته الصغرى، وتحرك لحظات يفتح بعض الأدراج ثم يغلقها من جديد، ويخرج الأوراق ثم يعيدها إلى مكانها متظاهرا بالانشغال . . . وتبين لى حقا أنه كان فى غاية الاضطراب أو على الأقل محرجا بسبب وجودى، وأن أقل خلل فى تلك الحياة المنظمة غاية التنظيم يمكن أن يخل باتزان التفكير، وأخيرا استقر إلى مكتبه، وغاص حتى منتصف ساقيه فى الحشية، ولم يعد يبدى حراكا . . .

أما بالنسبة لى فقد كنت أتناظر بالانهماك فى العمل، إلا أننى وجدت مشقة كبرى فى السيطرة على تفكيرى، بل لم أحاول ذلك، فقد كان تفكيرى يحوم حول "الكارفورش"، وكأنه يحوم حول برج قصر محاولا اكتشاف مدخله، وكل ما كنت أحاول أن أقنع به نفسى هو أننى فطن ذكى، وكنت أحدث نفسى قائلا: " صديقى، أيها الروائى، سنراك وأنت أمام التجربة . الوصف ! آه، أف ! ليس الوصف هو المهم الآن، وإنما المهم هو الكشف عن الباطن تحت الظاهر .

لو غفلت عن أية حركة، أو أية لفظة، دون أن تجد لها التفسير النفسى والتاريخى الكامل، فأنت لا تفقه مهنتك.

وصعدت ببصرى نحو السيد "فلوش"، وكان يعرض لى من جانب، فرأيت أنفا ضخما لا يعبر عن شىء، وحاجبين كثيفين، وذقنا حليقا لا يكف عن الحركة كأن صاحبه يمزغ تبغا . . . وفكرت أنه ما من شىء يضمنى الغموض على وجه الإنسان مثل قناع الطيبة الذى يغلفه .

وإذا بجرس الغداء يفاجئنى وأنا غارق فى هذه الخواطر .

وعلى هذا الغداء، قدمنى السيد " فلوش " دون سابق إنذار، إلى السيد " سانت أوريول " وزوجته، وكان فى إمكان القس أن يخطرني بذلك مساء أمس، وأتذكر أننى فيما مضى شعرت بنفس الدهشة عندما رأيت لأول مرة فى حديقة النباتات طائر النمام أو طائر الغواص، ولا أدري أيهما كان أغرب من الآخر ، البارون أم البارونة، فقد كانا زوجين متماثلين أشبه بالسيد " فلوش " وزوجته، ولو قدر لهما أن يوضعا فى أحد المتاحف ، لوضعا متجاورين بلا تردد خلف واجهة زجاجية بالقرب من " الأنواع المنقرضة "، ولقد شعرت نحوهما فى بادئ الأمر بذلك الإعجاب الغامض الذى تشعر به أمام التحف الفنية الرائعة أو أمام عجائب الطبيعة الذى يتركنا أول وهلة ذاهلين عاجزين عن تحليله، كذلك لم أتمكن من تحليل انطباعي إلا بعد نظر وتأمل . . .

كان البارون « نارسيس سانت أوريول » يرتدى بنطلونا قصيرا، وينتعل حذاء بارز الإبريم، ورباط عنق من الموسيلين، وكانت له جولة

عنق تماثل ذقنه فى بروزها، وتخرج من فتحة الياقة محاولة الاستخفاء  
ما استطاعت تحت ثنايا وشاح منتفخ من الموسيلين، وكان ذقنه لأقل  
حركة من فكه يبذل مجهودا خارقا ليتصل بأنفه الذى يحاول من ناحية  
أن يحقق ذلك، وكانت إحدى عينيه مسدودة فى إحكام، أما عينه  
الأخرى، فكان طرف الشفة يستهافت إليها وتتجه نحوها كل ثنايا  
الوجه، فقد كانت تومض فى صفاء، قابعة خلف الوجنة كأنما تقول :  
حذار ! أنا وحيدة، ولكن ما من شىء يفلت منى .

أما زوجته، مدام دسانت أوريول، فقد كانت تخفى تماما فى فيض  
من نسيج الدانتيل الزائفة، وكانت يداها الطويلتان المثقلتان بالخواتم  
الضخمة، ترتجفان وهما قابعتان فى جوف كميهما، أما وجهها فقد كان  
متدثرا فى شبه كساء طويل من الحرير الأسود المبطن بشرائط من  
الدانتيل البيضاء، وتحت الذقن عُنُقدت عصابتان من الحرير أبيضتا من  
أثر المسحوق المتساقط من وجهها الذى أسرفت فى ذره بطريقة بشعة،  
وعندما دخلت، نهضت واستقرت أمامى بجانبها، وطرحت رأسها  
إلى الوراء ، ثم زعقت بصوت مرتفع خال من التنغيم :

- أتى زمن، يا شقيقتى، كان الناس فيه أكثر احتراما وتقديرا لاسم  
سانت - أوريول ..

ترى على من كانت ساخطة ؟ لابد أنها تريد أن تشعرنى أمام  
أختها أننى لا أنزل عند آل فلوش، لأنها استطردت وهى تميل رأسها  
جانبا فى تلاطف ظاهر وترفع يمناها نحوى قائلة :

- إنه ليسر البارون، ياسيدى، كما يسرنى، أن نستقبلك على مائدتنا .

فقطعت قبلة على خاتم بيدها، وانتصبت بعد القبلة وأنا أشعر بالحنجى لأن وضعى بين " آل فلوش " و " آل سانت أوريول " بدا لى محرجا، إلا أن مدام فلوش لم يبد أنها أعارت قول أختها أى اهتمام، أما البارون فقد كنت أرتاب فى حقيقة أمره على الرغم من أنه كان معى لطيفا وطريفا، وطوال إقامتى فى الكارفورش لم يستطع أحد أن يقتنع بأن ينادينى بغير السيد " لاكاز "، الأمر الذى كان يسمح له أن يؤكد أنه طالما رأى أهلى فى التويلورى .. وبخاصة عمّا لى كان يلعب معه لعبة الورق .

- آه ! لقد كان طريفا ! كان كلما ألقى بورقة رابحة، صاح بأعلى عفيرته " دومينو " !

كانت أحاديث البارون كلها من هذا المستوى تقريبا، وعلى المائدة كان هو الوحيد الذى يتحدث تقريبا، وبعد ذلك، وما أن ترفع المائدة حتى يتحصن فى صمت أشبه بصمت المومياء ...

وعندما كنا نهاجر حجرة الطعام، اقتربت منى " مدام فلوش " وهمست قائلة :

- هل يتلطف السيد " لاكاز " فيسمح لى بحديث قصير معه ؟  
وبدا لى أنها لم تكن تريد أن يطلع أحد على هذا الحديث، لأنها راحت تجذبنى إلى جهة بستان الخضروات وهى تقول بصوت مرتفع إنها تريد أن ترى صفا من الأشجار المعروشة على الجدار .

وما أن وثقت أن أحدا لا يستطيع أن يسمعها، بدأت حديثها  
قائلة :

- إن حديثي معك بخصوص حفيدنا .. إننى لا أريد أن أبدو فى  
نظرك متقدمة لتعليم القس " سانتال " .. ولكنك وأنت تغوص فى  
مصادر الثقافة نفسها ( كانت هذه عبارتها ) يمكنك أن تقدم لنا النصح  
فى هذا الشأن .

- تكلمى ياسيدتى، وثقى فى إخلاصى .

- إذن، فاسمع : إننى أخشى أن يكون موضوع رسالته، بالنسبة  
لغلام حدث مثله، فيه شىء من التخصص .

فاستفسرت فى شىء من الحرج :

- أية رسالة ؟

- الرسالة التى يتقدم بها لشهادة البكالوريا .

فعدت أقول وقد صممت على ألا أندesh لشىء :

- آه ! بالضبط . وما موضوعها ؟

- هاك : إن الأب يخشى أن يكون من شأن الموضوعات الأدبية  
أو الفلسفية المحضنة أن تزيد من حدة هيام عقلية فتى مبال يطبعه إلى  
الأحلام .. ( هذا جانب من مخاوف القس ) ولذلك فقد حدا  
بـ " كازيمير " إلى اختيار موضوع تاريخى .

- ولكن هذا الرأي يا سيدتى يقوم على أساس متين، والموضوع الذى وقع عليه الاختيار، ما هو ؟
- أرجو المَعذرة، فإننى أخشى أن أحرف الاسم .. " ابن رشد "
- إن القس طبعاً لديه من الأسباب ما جعله يختار هذا الموضوع الذى يبدو لأول وهلة موضوعاً متخصصاً بعض الشيء .
- لقد اختاراه معاً . أما عن الأسباب التى يسوقها الأب مبرراً لاختياره، فإننى على استعداد لقبولها، فقد ذكر لى أن هذا الموضوع يتضمن جاذبية قصصية من شأنها أن تثير اهتمام " كازيمير " الذى يشرّد كثيراً ، ثم ( يبدو أن السادة الممتحنين يعلقون على هذا أكبر الأهمية ) إن الموضوع لم يسبق أن طرق قبل ذلك .
- فعلاً، إننى لا أذكر ..
- ومن الطبيعى أن المرء، لكى يطرق موضوعاً لم يسبق لغيره أن عاجله يجد نفسه مضطراً إلى الخوض فى طرق غير ممهدة .
- طبعاً !
- إلا أننى أعترف لك بأن هناك ما يدعو لقلقى .. ولكننى قد أكون مغالية ؟
- سيدتى، أتوسل إليك أن تتقى فى أن صدق إخلاصى ورغبتي فى خدمتك لا حدود لهما .

- حسن ! أنا لا أشك في أن " كازيمير " لديه من الكفاءة ما يؤهله في القريب العاجل من التفوق في امتحان رسالته، ولكني أخشى أن تكون رغبة القس في التخصص - وهي رغبة سابقة لأوانها - تجعله يهمل إلى حد ما الثقافة العامة، كالحساب مثلا والفلك ..

فسألت وأنا في ذهول :

- وما رأى السيد فلوش في كل هذا ؟

- أوه ! إن السيد فلوش يؤيد كل ما يعمل القس أو يقول .

- والوالدان ؟

- لقد عهدا إلينا بالغلام .

قالتها بعد تردد لطيف ثم أضافت وقد توقفت عن السير :

- أرجو منك ياسيد " لاكاز "، أن تتكرم بالتحدث إلى " كازيمير " لكي تطلع على أمره دون أن يبدو عليك أنك تقصد إلى ذلك .. ولكن ذلك في غير وجود القس بالذات، فقد يرتاب في الأمر، وأنا على ثقة أن بوسعك أن ..

- بكل سرور ياسيدتي، ولن أعدم الوسيلة لاختلاق سبب للخروج مع حفيديكم . سيقوم مثلا باصطحابي في زيارة لركن ما من أركان الحديقة ..

- إنه في بادئ الأمر يبدو خجلا مع من لا يعرفهم بعد، إلا أن الثقة من طبعه .



- إننى لا أشك فى أننا لن نلبث أن نصبح صديقين حميمين .  
وبعد قليل جمعتنا وجبة العصر مرة أخرى، فقالت تخاطب  
" كازيمير " :

- كازيمير، عليك باصطحاب السيد " لاكار " ليرى المحجر، فأنا  
واثقة من أنه سيثير اهتمامه .

ثم قالت وهى تقترب منى :

- انصرفا بسرعة قبل أن ينزل القس، فقد يرغب فى مرافقتكما .  
وعلى الفور خرجت إلى الحديقة، يقودنى الغلام وهو يعرج،  
فبدأت قائلاً :

- هذا وقت الفسحة .

فلم يجب، فاستطردت قائلاً :

- ألا تعمل شيئاً بعد أن تتناول طعام العصر ؟

- أوه ! بلى، ولكن اليوم لم يعد عندى ما أنسخه .

- ما الذى تنسخه إذن ؟

- الرسالة .

- آه !

وبعد محاولات من التقصى فهمت أن هذه الرسالة إنما هى عمل  
خاص بالقس وهو يستخدم الغلام فى تبييضها ونسخها لوضوح خطه  
وسلامته، وكان الغلام يقوم بكتابة أربع صور من الرسالة فى أربع

كراسات مغلقة ملاً منها فى كل يوم بضع صفحات، إلا أن "كازيمير"  
أكد لى أنه يجد متعة كبرى فى قيامه بعملية "النسخ" .

- ولكن لماذا تكتب أربع نسخ ؟

- لأننى أجد مشقة فى الاستظهار .

- وهل تفهم ما تكتبه ؟

- أحياناً، وأحياناً أخرى يشرح القس لى، أو يقول لى إننى سوف  
أفهم عندما أكبر .

كان القس بكل بساطة قد جعل من تلميذه ما يشبه سكرتيراً  
ناسخاً ، فهل كان هذا هو تصوّره لواجبه ؟ وشعرت بقلبي يفيض  
حسرة، فقررت بلا تردد أن أدخل معه فى نقاش مرير، وكان سخطي  
قد جعلنى أسرع الخطى على غير وعى منى، فكان " كازيمير " يجد  
مشقة فى متابعتى، ولاحظت أنه غارق فى عرقه، فمددت له يدى  
فاستبقاها فى يده، وراح يعرج إلى جانبى بينما أبطأت أنا  
من مشيتى .

- هل الرسالة رسالتك ؟

فأجاب على الفور :

- أوه ! كلا .

ولكننى عندما تماديت فى أسئلتى أدركت قلة معلوماته، ولا شك  
أنه لاحظ اندهاشى، فقد أضاف قائلاً :

- إننى أقرأ كثيرا .  
قالها كمسكين يقول : إننى أملك ثيابا أخرى !  
- وماذا تحب أن تقرأ ؟  
- كتب الرحلات .  
وحول نحوى نظرة كانت الثقة قد سكنت فيها محل الحيرة،  
وقال :  
- لقد سافر القس إلى الصين، هل تعرف ذلك ؟  
وكانت لهجته تكشف عن إعجاب بأستاذه، واحترام زائد .  
وكنا قد بلغنا المكان الذى أسمته مدام فلوش بـ " المحجر " ،  
فوجدته مكانا مهجورا منذ أمد طويل، أشبه بمغارة تحف بها أحراش  
تحجبها عن الأنظار، فجلسنا فوق حجر فاتر بتأثير حرارة الشمس التى  
كانت قد شرعت فى المغيب، وكانت الحديقة تنتهى عند هذا المكان  
دون أن يحدها سياج أو جدار،  
وكنا قد مررنا عن يسارنا بطريق تنحدر فى انحراف يقطعها حاجز  
صغير، وكان انحدار الطريق من الشدة بحيث كان يعتبر حماية طبيعية  
للحديقة .  
وسألت كازيمير :  
- وأنت يا كازيمير، هل سبق أن قمت برحلات ؟

فلم يجب، وطأطأ رأسه . . وكان الوادى عند أقدامنا غارقاً فى الظلام، وكانت الشمس تحف بالتل الذى كان يحول دون استرسال الطبيعة أمامنا، وكانت هناك أكمة من أشجار الكستناء والبلوط تعلو تلاً جريباً صغيراً انتشرت فيه أوكار الأرناب، كان المنظر بما فيه من رومانسية يتميز عن سائر المنطقة التى كانت تتسم بالرتابة .

وإذا بكازيمير يصبح قاتلاً :

- انظر إلى الأرناب . . .

وبعد برهة، أضاف وهو يشير بأصبعه إلى الأكمة :

- ذات يوم، سعدت هنا بصحبة سيدى القس .

وعند عودتنا مررنا ببركة تغطيها النباتات المائية، فوعدت كازيمير بأن أعد له سنارة وأدربه على صيد الضفادع .

ولم تختلف هذه السهرة الأولى التى لم تمتد بعد التاسعة كثيراً، عما تلاها من سهرات، بل ولا حتى فى ظنى عما سبقها، ذلك لأن أصحاب الدار كانوا يراعون مبدأ عدم الإصراف، فما أن انتهى العشاء حتى عدنا إلى حجرة الجلوس حيث كان " جراسيان " فى أثناء العشاء قد أشعل النار فى موقدها، وكان هناك مصباح كبير موضوعاً على طرف منضدة من الخشب المطعم، يضئ القطاع الذى يتناقل فيه كل من البارون والقس النرد عند طرف المنضدة، وكذلك كان هذا المصباح يضئ المائدة الصغيرة المستديرة التى كانت النساء يلعبن عليها لعبة الورق، وبدأت مدام " سانت أوربول " الحديث فقالت :

- إن السيد " لاکاز " الذى اعتاد لهُو باریس ومسرّاتها، لا شك سيجد فى لهُونا شيئاً من الخمول . .

وفى تلك الأثناء، كان السيد " فلوش "، يجلس فى مقعد موسد فى ركن من أركان المدفأة، بين النوم واليقظة، أما كازيمير، فقد كان يسند مرفقيه إلى المنضدة، واضعاً رأسه بين يديه، وقد تدلت شفتيه السفلى وسال منها اللعاب، وعلى هذه الحال، كان يقرأ فى كتاب " جولة حول العالم "، ومراعاة للياقة والذوق، تظاهرت بالاهتمام الشديد بلعبة النساء، وكان من الممكن أن يتم اللعب بالاستغناء عن أحد اللاعبين الأربعة كما يحدث فى لعبة " الوست " إلا أنه من الأفضل أن تؤدى بأربعة لاعبين، ولذلك فما أن اقترحت الاشتراك فى اللعب، حتى سارعت مدام دسانت - أوربول بقبولى زميلا لها، وفى الأمسيات الأولى تمكن الفريق المنافس من هزيمتنا فسعدت مدام " فلوش "، وكانت بعد كل نصر تفوز به تربت ذراعى بيدها النحيلّة المكسوة بقفاز بلا أصابع، وكان يسود اللعب الكثير من حركات التهور والجرأة وأعمال المكر والدهاء والتفنن والمهارة، وكانت الأنسة " أوليمب " متريثة فى لعبها متروية، وفى بداية كل دور كنا نحدد النقط اللازمة لإحراز النصر، وبعد ذلك كان كل لاعب يقامر ويزايد حسيما يكون تحت يده من أوراق، وكان من شأن ذلك أن يتيح فرصة للتغريز والإيهام، وكانت مدام سانت أوربول تغامر فى تهور وجرأة وقد لمعت عيناها، واحمرت وجنتاها، وجعل ذقنها يرتعد، وعندما كانت تجد بين يديها أوراقاً رابحة، كانت تركلنى بشدة بقدمها من تحت

المنضدة، وكانت الأنسة أوليمب تحاول أن تصمد أمامها، ولكنها لا تلبث أن ترتبك عندما تسمع صوت العجوز الحاد يصبح على حين فجأة :

- فيردور، أنت تكذبين !

وعند انتهاء الدور الأول كانت مدام فلوش تخرج ساعتها، وكان الوقت قد حان، ثم تنادى قائلة :

- كازيمير ! هيا، لقد حان الوقت .

فيحاول الطفل في مشقة أن يتخلص من نعاسه، وينهض، ويبسط للرجال يدا مسترخية للتحية، ويعرض للنساء جبينه ليتلقى قبلاتهن، ثم يخرج وهو يتعثر في مشيته .

وعندما كانت مدام سانت أوريول تدعونا لجولة الثأر، يكون أول دور في النرد على وشك الانتهاء، وكان السيد فلوش في بعض الأحيان يأخذ مكان صهره، ولم يكن السيد فلوش ولا القس يعلنان عن ألعابهما، ولا يسمع لهما سوى صوت دحرجة النرد داخل القرطاس أو فوق المنضدة، أما السيد " سانت - أوريول " فكان في مقعده الموسد ينادي نفسه، أو يترنم بصوت خفيض، وفي بعض الأحيان كان يفاجيء الحاضرين بضرب النار بالملقاط في غير حذر، فتتناثر الشظايا هنا وهناك، فتهب الأنسة " فيردور " وتؤدي فوق البساط ما كانت مدام سانت أوريول تسميه في ظرف برقصة الشظايا .

وفى أغلب الأحيان، كان السيد " سانت أوريول " يترك البارون والقس فى تنافسهما ولا يغادر مقعده الموسد، وكنت فى مكانى أستطيع أن أراه، ليس نائما كما كان يدعى، وإنما هازا رأسه فى الظلام، وفى أول أمسية حدث أن توهج الذهب فأضاء وجهه، فتبينت أنه كان يبكى ! .

وعندما كان ينتهى اللعب فى التاسعة والربع، كانت مدام " فلوش " تطفىء المصباح، بينما تقوم الأنسة " فيردور " بإشغال شمعتين تثبتهما على طرفى طاولة اللعب .

وكانت مدام سانت أوريول وهى تضرب زوجها على كتفه بالمروحة توصى القس قائلة :

- أيها القس، لا تجعله يسرف فى السهر .

واعتقدت من أول ليلة أن من دواعى اللياقة أن ألبى دعوة النساء تاركا اللاعبين لتنافسهما والسيد فلوش لتأملاته، وكان آخر من يصعد منا، وفى الدهليز حمل كل منا شمعدانا، وقامت النساء بتحيتى كما يفعلن فى الصباح، وكنت أدخل حجرتى فلا ألبث أن أسمع السيدين وهما يصعدان، ثم سرعان ما يحل الصمت، إلا أن النور يظل يتسرب من تحت بعض الأبواب، وإذا ما اضطرت لسبب ما إلى الخروج فى الممر، فمن الجائز أن أصادف مدام فلوش أو الأنسة فيردور فى غلالة النوم يفرغان من عمل ما، بل وبعد ذلك أيضا، وعندما يظن المرء أن كل ضوء قد أطفئ، كان يرى طاقة من الزجاج تستمد نورها من ضوء الدهليز ولا تفضى إليه، ويدخلها مدام سانت أوريول فى صورة خيال الظل وهى ترتق بعض الثياب .

1	2
3	4
5	6
7	8
9	10
11	12
13	14
15	16
17	18
19	20
21	22
23	24
25	26
27	28
29	30
31	32
33	34
35	36
37	38
39	40
41	42
43	44
45	46
47	48
49	50
51	52
53	54
55	56
57	58
59	60
61	62
63	64
65	66
67	68
69	70
71	72
73	74
75	76
77	78
79	80
81	82
83	84
85	86
87	88
89	90
91	92
93	94
95	96
97	98
99	100



كان يومى الثانى فى " الكارفورش " شبيها باليوم الأول بشكل ملموس ، ساعة بساعة ، إلا أن افصول الذى كان يدفعنى إلى الاطلاع على حياة أهل البيت كان قد زال تماماً ، وكان ثمة رذاذ دقيق يملأ الجو منذ الصباح ، فلما استحالت النزهة ، وكان حديث هؤلاء النساء يخلو مع مرور الوقت من الهدف والمعنى ، فقد شغلت سائر ساعات النهار تقريباً فى العمل ، ولم أكد أتبادل مع القس بعض العبارات ، وكان ذلك بعد الغداء حيث دعانى إلى تدخين سيجارة على بعد خطوات من حجرة الجلوس ، فى مكان يشبه مستودعا كان يطلق عليه أهل الدار تعظيماً : التعريشة ، وكانوا يضعون فيه مقاعد الحديقة وكراسيها طوال فصل الشتاء الردىء .

وعندما طرقت موضوع تعليم الطفل فى شىء من الحدة قال لى :  
 - ولكننى يا سيدى ، أستهدف شيئاً خيراً من تفتيح مدارك "كازيمير" بكل ما أملك من علوم متواضعة ، وإننى لم أعدل عن هدفى هذا إلا مرغماً . هل كنت تؤيدنى ، وهو يعرج هكذا ، لو تراءى لى أن أعلمه الرقص على الحبل؟ سرعان ما وجدت أن من واجبى أن

أحد من آمالي، وإذا كان يشغل نفسه معى باین رشد، فذلك لأننى أقوم ببحث فى فلسفة أرسطو، ففضلت أن أشركه معى فى هذا العمل بدلا من أتبحر معه فى كتاب من كتب النحو، وسواء كان هذا أو ذلك، فالمهم هو إشغال "كازيمير" ثلاث ساعات أو أربع كل يوم، هل كان بوسعى أن أتجنب الشعور بالسخط لو أنه أضاع وقتى هذه الساعات، ودون أن يستفيد هو من ذلك.. كفى نقاشا فى هذا الموضوع، على أما أظن.

وبعد ذلك ألقى سيجارته، وكان قد تركها حتى انطفأت ونهض ليعود إلى حجرة الجلوس.

ولقد متعنتى رداءة الجو من الخروج مع "كازيمير"، فاضطررنا إلى أن نرجىء لليوم التالى ما كنا قد أزمعناه من صيد، ولكننى أمام خيبة أمل الغلام، حاولت أن أقدم وسيلة أخرى للتسلية، وكنت قد عثرت على رقعة للشطرنج، فشرعت أعمله لعبة الدجاج والتعلب، فظل شغوفا بها حتى العشاء.

وبدأت السهرة مشابهة تماما لسابقتها، غير أننى لم أعد أنصت أو أنظر إلى شىء، فقد بدأ يجثم صدرى ضيق غامض لا أدرى كنهه.

وما أن فرغنا من العشاء، حتى هبت ريح عاصفة، فأوقفت الأنسة "فيردور" اللعب مرتين، وصعدت إلى الحجرات العليا لترى إذا كان المطر قد تسرب إليها، واضطررنا إلى أن نلعب دور الثأر بدونها، إلا أن اللعب كان يخلو من الإثارة، وكان السيد "فلوش" جالسا فى مقعد موسد منخفض بالقرب من المدفأة يهدهده صوت المطر المنهمك، فينام نوما عميقا، وكان البارون أمامه جالسا فى مقعده يشكو ويتوجع من آلام الروماتزم.

ولما لم يجد القس منافسا يلاعبه جعل يردد دعوته للبارون.

- قد يروح عنك دور من الترد.

ولما لم يصل معه إلى نتيجة، انصرف مصطحبا "كازيمير" ليرفده في فراشه، وعندما وجدتني في ذلك المساء وحيدا في غرفتي، تملكني قلق لا يرحم استولى على روحي وجسدي، وإذا بضيق يستحيل خوفا. كان ثمة جدار من الأفكار يفصل بيني وبين بقية العالم، فإذا إنا فريسة كابوس مزعج، بعيدا عن كل عاطفة، بعيدا عن الحياة، بين مخلوقات غريبة لا تكاد تكون من البشر، جمدت قلوبها وبهتت وجوهها، وكفت قلوبها عن الخفقان منذ أمد بعيد، ففتحت حقيبة السفر، وأخرجت دليل القطارات. أريد قطارا! مهما كان الوقت نهارا أو ليلا. . ليحملني بعيدا! إنني هنا أختنق. .

وعندما استيقظت في اليوم التالي، لم أكن أقل تصميمًا، إلا أنني وجدت أنه مما يتنافى مع الذوق وآداب اللياقة أن أهجر المضيفين دون أن أنتحل لهم عذرا أعلل به سبب قطع إقامتي، أو لم أتهور وأذكر لهم أنني سأتأخر إسبوعا على الأقل على الكارفورش؟ لقد جدتها! سأقول لهم بأن أبناء سيئة تستدعيني إلى باريس. . ولحسن الحظ، كنت قد تركت عنواني في باريس قبل المجيء فكان من المفروض أن يرسل بريدي كله إلى الكارفورش، وقلت في نفسي إنها حقا لمعجزة أن لم يصل حتى اليوم أي خطاب أستطيع أن أستغله في مهارة وحذق وعلقت أملى بوصول ساعي البريد، وكان يأتي بعد الظهر بقليل،

عندما كنا نفرغ من غداثنا، فكنا لا نغادر المائدة قبل أن تأتي "ديلفين" حاملة إلى مدام "فلوش" رزمة خفيفة من الخطابات والمطبوعات فتتولى هذه توزيعها على الحاضرين، ولسواء الحظ، حدث في ذلك اليوم، أن كان القس "سانتال" مدعوا لتناول الغداء عند عمدة بلدة "بون ليفيك"، وفي حوالى الساعة الحادية عشرة، جاء ليستأذن من مدام "فلوش" ومنى، ولم أدرك عندئذ أنه بذلك يسلبنى الجواد والعربة.

وعلى الغداء، قمت بأداء الدور الذى أعددت له، فقدمت وأنا أفض أحد المظاريف التى قدمتها لى مدام فلوش:

- سبحان الله! يا لها من مضايقة!

ولما لم يلتفت أحد من أهل الدار إلى صيحتى خشية إخراجى، عاودت الكرة رافعا صوتى ومتصنعا الدهشة والضيق بينما عنى تجولان بين سطور رسالة لا أهمية لها:

- وأسفاه!

وأخيرا تجرأت مدام فلوش وسألتنى بلهجة يشوبها الحياء:

- ما هذا النبأ السىء، ياسيدى العزيز؟

فأجبت على الفور:

- أوه ! لا شىء، ولكننى للأسف أرى أنه يتحتم على أن أعود إلى باريس حالا، وهذا ما يكدرنى.

وعمت الدهشة سائر الجالسين إلى المائدة، فجاوزت ما كنت أتوقع

حتى احمر وجهى خجلا، وتحلت هذه الدهشة أول الأمر فى وجوم شامل قطعه السيد "فلوش" فى صوت تشوبه الرجفة:

- أصحيح يا صديقى العزيز؟ ولكن عملك! ولكن..

ولم يستطع أن يكمل، ولم أجد ما أجيب به، ولا ما أقوله، بل لمقد انتابنى شعور ظفيف بالتأثر وكانت عيناي مسلطين على قمة رأس كازيمير، فرأيتة وقد دس أنفه فى الطبق، وجعل يقطع تفاحة إربا إربا، أما الأنسة "فيردور" فكان وجهها قد احمر قانيا من الغيظ.

وإذا بمدام "فلوش" تقول فى صوت ضعيف:

- أعتقد أنه مما ينافى الذوق يا سيدى أن نطلب منك البقاء!

فقال مدام سانت أوريول فى حدة:

- لما يقدمه الكارفوش من ألوان اللهو والمتعة!

فحاولت الاعتراض قائلا:

- أو! سيدتى، ثقى تماما أنه ما من شئ..

غير أن البارونه، دون أن تنصت لقولى، زعقت بأعلى عقيرتها فى أذن زوجها وكان يجلس إلى جوارها:

- إن السيد "لاكاز" يريد أن يرحل عنا.

فقال الأصم وهو يبتسم لى:

- عظيم! عظيم! ما أشد سرورى لذلك.

وعندئذ توجهت مدام فلوش بالحديث إلى الآتية "فيردور" قائلة:

- كيف ستتصرف؟ إن الجواد مع القس.

فتراجعت قليلا وقلت:

- المهم أن أكون في باريس صباح غد... وإذا لزم الأمر، فإن قطار الليل قد يكفى.

فقالت مدام فلوش:

- فلتذهب يا "جراسيان" على الفور لترى إذا كان من الممكن أن نستخدم جواد آل "بوليني"، أخبرهم أن عليك أن تنقل شخصا يريد أن يستقل قطار الساعة..

وقالت وهى تلتفت نحوى:

- هل يكفى قطار الساعة السابعة؟

- أوه! سيدتى، إننى آسف إذ أسبب لكم كل هذه المضايقات..

وانتهى الغداء فى سكون، وما زن فرغنا منه، حتى صحبنى السيد فلوش وخرجنا، وعندما أصبحنا وحدنا فى الممر الذى يفضى إلى المكتبة، قال لى:

- سيدى العزيز.. صديقى العزيز.. إننى لا أستطيع أن أصدق بعد.. ولكنك لا تزال فى حاجة إلى معرفة الكثير. أمن الممكن أن يحدث هذا؟ يالها من مضايقة! يالها من مضايقة فظيعة! كنت أنتظر أن تنتهى من المرحلة الأولى من البحث، لاضع تحت يدك أوراقا

أخرى أخرجتها مساء أمس . أعترف لك أننى كنت أعتمد على هذه الأوراق لأثير اهتمامك من جديد وأستيقظ مدة أطول، فلا بد إذن من إطلاعك عليها فوراً . تعال معى، فلا يزال لديك فسحة من الوقت حتى المساء لأننى لا أجرؤ أن أسألك العودة مرة أخرى، ألس كذلك؟

وأمام ضيق الكهل وكدره، أحسست بالخجل من تصرفى، وكنت قد أضنيت نفسى فى العمل طوال نهار أمس وصباح اليوم، بحيث لم يتوفر لى من الوقت إلا مايتيح لى أن ألقى نظرة عابرة على الأوراق الأزولى التى كان السيد "فلوش" قد استودعنى إياها، ولكننا ما أن صعدنا إلى خلوته حتى بادر بفتح أحد الأدراج وأخرج من جوفه، فى حركة غامضة، لفافة يغلفها نسيج من قماش يثبتته خيط رفيع، وتحت الحيط دست بطاقة على هيئة قائمة بالأوراق التى بالداخل ومصادرها، فقال لى فلوش:

- خذ اللفافة كلها، وليس كل ما تحويه طبعاً من الأوراق المهمة، ولكنك تستطيع أسرع منى أن تستخرج من بينها ما يهمك .

وبينما كان يفتح بعض الأدراج الأخرى، ويغلقها ويتظاهر بالانشغال، نزلت إلى المكتبة حاملاً الأوراق التى فضضتها فوق المنضدة الكبيرة .

وكانت بعض الأوراق فعلاً تتصل ببعضى، ولكنها كانت قليلة العدد ضئيلة الشأن، وكان أغلبها مكتوباً بخط السيد "فلوش" نفسه ومتصلاً بحياة "ماسيون" ولذلك فلم تكن تعينى فى كثير .

أصبح أن "فلوش" المسكين كان يعتمد على هذه الأوراق ليستيقظني؟ فنظرت إليه، كان في ذلك الوقت قد غار في مقعده وأمسك دبوساً يفتح به في دقة وصبر ثقوب وعاء صغير لصب السندروسى، وما أن فرغ من هذه العملية، حتى رفع نظره فالتقى بنظري، وإذا بابتسامة ودية تنير وجهه فنهضت لكى أحادثه، وانكأت على ذراعى مقعده في مواجهة جسمه الضئيل وقلت أخاطبه:

- سيدى "فلوش"، لماذا لا تأتى إلى باريس؟ إنه ليسرنا أن نلتقائك هناك.

- فى مثل سنى، يكون الانتقال عسيراً وباهظ التكاليف.

- أولاً تأسف على حياة المدينة؟

فقال وهو يرفع يديه:

- آه! كنت أتوقع أن يكون أسفى عليها أكبر. إن الوحدة فى الريف، تبدأ قاسية لمن يحب الحديث، ولكنه سرعان ما يعتادها.

إذن، فأنت لم تأت للإقامة فى الكارفورش عن ميل أو رغبة؟

فخرج من مقعده ونهض واقفاً، ثم وضع يده فوق كفى فى ألفة وقال:

- كان لى فى المعهد بعض الزملاء الذين أعزهم، ومنهم أستاذك "البير دينوس"، وأعتقد أننى كنت على وشك أن أشغل مكاناً بينهم...



ولاح عليه أن يريد أن يفيض في الحديث، ومع كل فقد كنت لا أجرو على سؤاله مباشرة، فقلت:

- أهى مدام "فلوش" التى كان يستهويها الريف إلى هذا الحد؟  
- كلا. ومع ذلك فقد جئت الريف من أجلها، أما هى فقد استدعاها إليه طارئ عائلى بسيط.

كان قد هبط إلى القاعة الكبيرة، فلمح اللقافة التى كنت قد أعدت ربطها، فقال لى فى أسى:

- آه! لقد اطلعت على كل شىء، وربما وحدث بينها شيئا ينفهك.  
وماذا كنت تريد؟ إننى ألتقط أقل الفتات.

وفى بعض الأحيان أقول فى نفسى إننى أضيع وقتى فى جمع التافه من الأشياء ولكن لا بد من وجود رجال مثلى ليوفروا على من كان مثلك القيام بهذه الأعمال الضئيلة التى يستفيدون منها فائدة عظيمة، وعندما سأقرأ رسالتك، سأشعر بالسرور عندما أجد تعبى قد حقق لك ولو ذرة من الفائدة.

وإذا بالجرس يدعونا لوجبة العصر.

كنت أحدث نفسى: ما السبيل إلى معرفة ذلك "الطارئ العائلى البسيط" الذى كان وحده كافيا لإقناع هذين العجوزين؟ هل يعرفه القس؟ إننى بدلا من أن أناصبه العدا، كان يجب أن أستألفه. لا يهم! لقد فات الآوان، ولا يمنع هذا أن السيد فلوش رجل كريم

النفس وسأظل أحتفظ له بأعطر ذكرى، ووصلنا حجرة الطعام،  
فقال مدام فلوش:

- إن كازيمير لا يجرؤ على سؤالك أن تخرج معه فى جولة قصيرة  
فى الحديقة، إننى أعرف أنه شديد الرغبة فى ذلك، ولكن الوقت قد  
لا يسعفك؟

كان الغلام يمس وجهه فى إناء من اللبن، فرفع هامته وهو بآدى  
الابتهاج، فقلت:

- كنت على وشك أن أقترح عليه أن يصحبنى، فقد انتهت من  
عملى وسأظل بلا مشاغل حتى يحين وقت الرحيل، ولحسن الحظ فقد  
كف المطر عن الهطول..

وصحبت الغلام إلى الحديقة.

كان الغلام يمسك بإحدى يدى بين يديه، وعند أول منعطف رفع  
يدى إلى وجهه الملتهب وجعل يضغط عليها طويلا وقال:

- لقد أخبرتنى بأنك ستمكث ثمانية أيام..

- يا صغيرى الحبيب، لا أستطيع أن أمكث أطول من ذلك.

- لقد مللت عشرتنا.

- كلا. ولكن لابد لى من الرحيل.

- إلى أين؟

- إلى باريس، وسوف أعود.

وما كدت أنطق بهذه العبارة حتى تطلع إلىّ فى قلق ولهفة:

- صحيح ؟ أتعد بذلك؟

وكان استفسار الغلام يتضمن كثيرا من الثقة، فلم تواتنى الشجاعة للتراجع؟ فقلت:

- هل تحب أن أكتب لك هذا على ورقة صغيرة تحتفظ بها؟

- أوه، أجل.

قالها وهو يقبل يدي بشدة ويقفز معبرا عن فرحته فى هوس وجنون.

- هل تعرف ما يجعل بنا أن نفعله الآن؟ بدلا من أن نذهب لصيد السمك، أحرى بنا أن نقوم بقطف بعض الأزهار لنقدمها لعمتك، ونذهب إليها حاملين باقة ضخمة لنفاجئها فى حجرتها.

كنت قد عازمت على ألا أغادر الكارفورش قبل أن أزور حجرة إحدى العجوزين، ولما كانت تتجولان بلا انقطاع بين أرجاء الدار كان من الجائز جدا زن تفاجئنى إحداهما فى زيارتي المتطفلة، فكنت أعتمد على الغلام فى إيجاد سبب لحضورى، فإذا كان دخولى فى أثر الغلام إلى الحجرة جدته أو خالته لا يبدو أمرا طبيعيا، فإنه بفضل باقة الأزهار قد أستطيع، فى حالة المفاجأة، أن أبرر موقعى.

غير أن قطب الأزهار فى "الكارفورش" لم يكن عملية بسيطة كما كنت أظن، فقد كان "جراسيان" يلاحظ الحديقة فى تشدد وصرامة،

ولم يكن بالإرشاد إلى الأزهار التي يمكن قطفها، بل إنه كان يتدخل أيضا في تحديد الطريقة التي يتم بها قطف الأزهار، فلا بد من مراعاة الدقة والحذر! ولابد من الحسيطة كل الحسيطة! ذلك ما بيته لي "كازيمير". واقتادنا "جراسيان" إلى حوض من أزهار الداليا الرائعة، كان من الممكن أن نقطف منها عددا من الباقات دون أن نترك آثارا ظاهرة.

- من أعلى الغصن ياسيد كازيمير، كم مرة ينبغي أن أكرر ذلك؟  
أقطف دائما من أعلى الغصن.

فصحت وقد نفذ صبري:

- نحن في نهاية الموسم، فلا ضرورة لذلك الآن.

فأجاب مهتًا بزن "ضرورة ذلك ماثلة في كل وقت" وأنه "ما من موسم يحيد فيه العمل السيء". إنني أمقت المتحذلقين الذين لا يتحدثون إلا بالحكمة والمثل...

وفي حجرة الخالة كان السكون يسود أشبه بسكون المتعبد... وكانت مصاريع النوافذ مغلقة، وكان يوجد بالقرب من الفراش مصلب من خشب الموجنا المطن بالمخمل الأحمر عائر في كوة، يعلوه صليب من العاج والأبنوس يغطي نصفه غصن رفيع من البقس متعلق بشريط وردي ومثبت تحت إحدى إبطي الصليب. كان كل شيء يوحى بالتعبد، فنسيت ما جئت من أجله، ونسيت الفضول الأجوف الذي جذبني إلى ذلك المكان، فتركت "كازيمير" يرتب الأزهار كما يحلو له

فوق منضدة صغيرة، وأصبحت لا أنظر إلى شيء في الحجرة، وكنت أحدث نفسي قائلاً: هنا فوق هذا الفراش، سرعان ما ستطفىء شمعة مدام "فلوش" العجوز، بعيداً عن أعصاب الحياة... أيها الشراع الذى يهفو إلى العاصفة! ما أهدأ هذا المرفأ!

كان "كازيمير" فى هذه الأثناء قد مل ترتيب الأزهار، فقد كانت أغصان الداليا الثقيلة قد غلبته على أمره وإذا بالباقة كلها تهوى على الأرض. وأخيراً قال لى:

- هلا تساعدنى!

وبينما كنت آخذ مكانه، أسرع إلى الطرف الآخر من الحجرة نحو خزانة فتحها وهو يقول:

- سأعد لك الورقة التى تتعهد فيها بالعودة إلينا.

فعمقت مبادراً:

- هو ذاك، هو ذاك، أسرع، فقد تغضب خالتك لو رأتك تنقب فى خزانتها.

- أوه إن خالتى مشغولة فى المطبخ، ثم إنها لا ترجرنى مطلقاً.

وراح يكتب على إحدى أوراق الخطابات بكل دقة وعناية.

- والآن تعال ووقع.

فاقتربت وقلت ضاحكاً:

- ولكنك يا "كازيمير" ما كان يجب أن توقع باسمك أنت.

ما من شك فى أن الغلام، رغبة منه فى إضفاء الأهمية على هذا التعهد، ظن أن من المستحسن أن يوقع باسمه أسفل الورقة التى قرأت فيها ما يلى: "يتعهد السيد "لاكاز" بالعودة إلى الكارفورش فى العام القادم".

كازيمير سانت أوربول

ومكث برهة مرتبكاً من ملاحظتى وضحكى. كان الغلام قد فعل ذلك مدفوعاً بكل قلبه، فهل كنت أهزأ به إذن؟  
كان على وشك البكاء.

- دعنى أجلس مكان لأوقع.

فتهض، وعندما وقعت على الورقة، قفز فرحاً، وانهال على يدي لثماً وتثبيلاً، وهممت بالانصراف، بجذبنى من كمى، وقال وهو مائل على الخزانة.  
سأريك شيئاً.

قالها وهو يعالج زنيكا فى الخزانة ويسحب درجا كان يعرف طريقة فتحه، وجعل ينقب بين شرائط وإيصالات، ثم قدم إلى صورة صغيرة داخل إطار وقال:

- انظر!

فاقتربت من النافذة.

ما هذه الحكاية التى وقع فيها البطل فى غرام الأميرة بمجرد أن رأى صورتها، لا ريب أن هذه هى صورتها.

إننى لا أفهم فى التصوير، ولا أهتم كثيرا بهذا الفن، إلا أنه من المؤكد أن خبيراً فى التصوير يستطيع أن يبين الصنعة فى هذه الصورة؛ فإن الشخصية لا تكاد تظهر للعيان من فرط ما فى الصورة من جمال وروعة، على أن هذا الجمال الظاهر كان من النوع الذى لا يمكن للناظر أن ينساه، ولا أهمية عندي، كما قلت لك، لمحاسن التصوير أو عيوبه. إن المرأة الشابة التى كانت أمامي لم أكن أرى منها سوى جانب من وجهها، وكانت وجنتها تختفى تقريباً خلف خصلة ثقيلة سوداء، الزفرات، وجيدها دقيقاً أشبه بغصن الورد. كانت هذه المرأة ذات حسن فتان وجمال ملائكي، فلم أعد وأنا أتأملها أعى شيئاً عن المكان أو الزمان، وكان كازيمير قد ابتعد عني ليكمل ترتيب الأزهار، فعاد ومال نحوي قائلاً:

- هذه أمي. إنها جميلة، أليس كذلك؟

وشعرت أمام الغلام بالخرج لأننى وجدت أمه على هذا القدر من الجمال.

- أين هي الآن، أمك.

- لست أدري.

- ولماذا لا تعيش هنا؟

- إنها غل الإقامة هنا.

- وأبوك؟

فاضطرب قليلا، وقال وهو يطاطب رأسه كأنما يشعر بالخجل:

- أبى مات.

كانت أسئلتى تضايقه، ولكننى كنت قد صممت على التمدى فيها:

- هل تأتى أمك لزيارتك فى بعض الأحيان؟

فأجاب مؤكدا وهو يرفع هامته فجأة:

- أوه! أجل، كثيرا ما تأتى!

ثم أضاف وقد خفت صوته قليلا:

- إنها تأتى وتتحدث مع خالتى.

- ولكنها تتحدث معك أنت أيضا.

- أوه! معنى أنا. إننى لا أعرف كيف أتحدث إليها..

ثم إنها تحضر وأنا نائم.

- نائم!

- نعم. إنها تحضر ليلا..

ثم استسلم لثقلته واطمئنانه (كان قد أمسك بيدي عندما وضعت الصورة) وأضاف فى حنان كأنما أفاض إلى بئر:

- فى آخر مرة، جاءت وقبلتنى فى فراشى.



- أو لا تقبلك فى العادة؟
- بلى . إنها تقبلنى كثيرا .
- إذن ، فلماذا تقول " فى آخر مرة " .
- لأنها كانت تبكى .
- هل جاء مع خالتك؟
- كلا ، بل دخلت بمفردها فى ظلمة الليل ، وكانت تظننى نائما .
- وهل أيقظتك؟
- أوه ، إننى لم أكن نائما ، بل كنت فى انتظارها .
- كنت تعلم إذن بوجودها .
- فطاطأ رأسه مرة أخرى ، دون أن يجيب . فسألته فى إلحاح :
- كيف علمت بوجودها؟ وفى ظلمة الليل كيف عرفت أنها تبكى؟
- أوه ، لقد شعرت بذلك .
- أولم تسألها البقاء معك؟
- أوه! بلى . وكانت مائلة على الفراش ، فكنت أمسكها من شعرها . . .
- وماذا كانت تقول؟

كانت تضحك، وكانت تقول إننى سأنكش شعرها، وأنه لابد لها من الانصراف.

- ألا تحبك إذن؟

- أوه! بلى، إنها تحبني كثيرا.

صاح بها فجأة متبعدة عنى وقد التهب وجهه، فى نبرة تنم عن الوله والحب، حتى خجلت من سؤالى.

وإذا بصوت مدام فلوش يدوى عند سطح السلم مناديا:

- كازيمير، كازيمير! اذهب إلى السيد "لاكاز" وأخبره بأن الوقت قد حان ليستعد للسفر، فإن العربة ستكون هنا بعد نصف ساعة.

فاندفعت ونزلت السلم مسرعا، ولحقت بالعجوز فى الدهليز، وسألتها:

- مدام فلوش! أمن الممكن أن أكلف أحمد بحمل برقية؟

لقد وجدت طريقة تتيح لى، على ما أعتقد، أن أبقي بينكم بضعة أيام أخرى.

فتناولت كلتا يدي بين يدها:

- آه، صحيح يا سيدى العزيز؟

ولما كانت فى غمار تأثرها وانفعالها لا تجد ما تقوله، جعلت تكرر قائلة: صحيح! ثم أسرع إلى نافذة فلوش وصاحت قائلة:

- صديقي! صديقي (هكذا كانت تناديه) السيد لاكاز يتفضل بالبقاء.

كان صوتها الضعيف يرن أشبه بجرس متصدع، ولكنه بلغ هدفه، فقد رأيت النافذة تفتح، والسيد "فلوش" يطل منها لحظة، ثم ما أن علم بالخبر حتى قال:

- أنا نازل! أنا نازل!

ولحق به "كازيمير"، وظللت بضع لحظات أتقبل التهاني من كل على حدة، وكان الناظر يظنني من أفراد العائلة. وكنت برقية وهمية وأرسلتها إلى عنوان خيالي.

وقالت مدام فلوش:

- أخشى أن أكون أثناء الغداء قد أثقلت عليك في الإلحاح، وأنعمش أن بقاءك هنا لا يضر كثيرا أعمالك في باريس.

- أنعمش ذلك، يا سيدتي العزيزة. لقد رجوت أحد الأصدقاء أن يعتني بمصالحى.

كانت مدام سانت أوربول قد أقبلت، وكانت تهوى بمروحتها وهي تدور في الحجرة زاعقة بصوتها الحاد:

"يا له من لطيف! آه! ظرف فائق... ياله من لطيف!" ثم غابت، فعم السكون.

وقبيل العشاء، عاد القس من بون-ليفيك، ولما لم يكن يدرى شيئاً عن موضوع سفرى، فلم يفاجأ ببقائى، وقال فى بشاشة:

- سيدى لاكار، لقد أحضرت من بون -ليفيك بعض الصحف وأنا أهتم كثيرا بمهارات الصحف، لكننى تصورت أنك قد تكون هنا محروما من الأخبار وأن هذه الصحف قد تهلك.

وكان ينقب فى رداثة:

- آه، لقد حملها "جراسيان" مع الحقيبة إلى حجزتى. انتظر لحظة، فسأحضرها لك.

- لا تفعل ذلك يا سيدى القس، سأصعد أنا لإحضارها.

وصحبته حتى حجرته، فرجاني أن أدخل، وبينما كان ينظف رداءه بفرشاة وينتهي للعشاء، سأله بعد تبادل بعض عبارات المجاملة:

- هل كنت تعرف أسرة سانت أوربول قبل أن تحضر أنت إلى الكارفوش؟

- لا

- ولا السيد فلوش؟

- لقد انتقلت من التبشير إلى التعليم فجأة، وكان رئيسى على صلة باليد فلوش، فعيننى للقيام بالمهام التى أباشرها الآن، كلا، فقبل أن أحضر إلى هنا، لم أكن أعرف تلميذى ولا والديه.

- أى أنك تجهل الطارىء الذى دفع السيد فلوش فجأة إلى مغادرة باريس منذ خمسة عشر عاما تقريبا، عندما كان على وشك أن يعين بالمعهد.

فهمهم قائلًا:

- هذه تصارييف القدر .

- كيف؟! معنى هذا أن السيد فلوش وزوجته يعيشان هنا على نفقة آل سانت أوريول! فقال وقد ضاق صدره:

- كلا، كلا، إن آل سانت أوريول هم الذين فقدوا كل ثروتهم أو معظمها، ومع ذلك فإنهم يملكون قصر الكارفوش، أما آل فلوش، وهم في سعة من العيش، فإنهم يعيشون معهم ليساعدوهم، فهم يتكلفون بنفقات المنزل، وبذلك يتيحون لآل سانت أوريول الاحتفاظ بالكارفوش، ومن المفروض أن يؤول هذا القصر فيما بعد إلى كارييز، وأعتقد أن هذا هو كل ما يأمله الغلام...

- وزوجة الابن؟ إن أم كارييز ليست زوجة ابن سانت أوريول، بل هي ابنته.

- ولكن اسم الغلام؟ فتظاهر بعدم الفهم - ألا يدعى كارييز سانت أوريول؟

فأجاب ساخرًا:

- آخ! كل ما هناك أن الأنسة سانت أوريول قد تزوجت من ابن عم لها يحمل نفس اللقب.

- عظيم!

قلتها وقد أدركت بغيتي إلى حد ما، ولو أنني ترددت في قفل باب المناقشة، وكان قد فرغ من تنظيف رداؤه، وكان يضع قدمه على حافة

النافذة، وطوق حذاءه بمنديل فى ضربات شديدة ليزيل ما علق به من تراب.

فسأله قائلاً:

- وهل تعرفها... الآنسة سانت أوريول؟
- رأيتها مرتين أو ثلاث مرات، إلا أنها لا تمر بالقصر إلا مر الكرام.
- وأين تعيش؟
- فاعتدل واقفاً، وألقى بالمنديل المعفر فى ركن من أركان الحجرة، وقال:

- أهو استجواب إذن؟

ثم أضاف وهو يتوجه نحو الخوض:

- لن يلبث جرس العشاء أن يرن، ولن أكون مستعداً:
- كان معنى هذا أن أنصرف عنه، وكانت شفتاه المضمومتان تجبسان الكثير من الكلام، ولكنهما لن يسمحا بأن يفلت منهما شئ فى هذه اللحظة.

مضت أربعة أيام بعد ذلك وأنا لم أزل فى الكارفورش، وقد خفت حدة قلقى عما كانت عليه فى اليوم الثالث، إلا أننى كنت أكثر مللا ، فلم أتوصل إلى جديد، لا فى الأحداث اليومية ولا فى أحاديث أهل الدار ، فإذا بى أشعر أن فضولى إلى زوال من قلة الزاد، فرأيت أنه يجب أن أعرض عن فكرة اكتشاف المزيد، وتأهقت للسفر من جديد، فالأب يتظاهر باليكم منذ أن ظهر له مدى اهتمامى بما يعلم ، أما " كازيمير " فكلما كانت ترددات ثقته بى، كنت أزداد أمامه حرجا ، فلم أعد أستطيع سؤاله ، ثم إننى أصبحت أعلم كل ما يمكن أن يخبرنى به ، وهو ليس أكثر مما أخبرنى به يوم أن أطلعنى على الصورة .

ومع كل فإن الغلام كان قد أنبأنى باسم أمه فى براءة وطهر، وربما كان من الجنون أن أبدى تأثيرى على هذا النحو بالصورة الجذابة التى كان يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة عشر عاما، بل إنه حتى لو حدث، أثناء إقامتى فى الكارفورش، أن ظهرت إيزابيل دسانت - أوريول كما اعتادت أن تظهر ، لما استطعت، ولما جرؤت على اعتراض سبيلها، ومهما كان الأمر، فقد كان فكرى الذى شغل بها

فجأة قد كف عن الشعور بالملل والرتابة، فإذا بهذه الأيام الراهبة الأخيرة تولى مسرعة وأفاجأ بانقضاء الأسبوع، ولم يكن هناك ما يبرر بقائي عند آل فلوش، خاصة وأن عملي لم يعد يقدم لي أسبابا لتأخير الرحيل، ولكنني في ذلك الصباح، كنت أتجول في الحديقة وكان الخريف قد زاد من سعتها ورنين أصداؤها، فإذا بي أجدني أهتف في صوت خفيض، ثم يزداد الصوت ارتفاعا إيزابيل! ... وإذا بهذا الاسم الذي صدمني في بادئ الأمر، يكتسى بالبرقة والملاحة ويستشري فيه سحر خفي .. ورأيتني أردد قائلا : إيزابيل سانت - أوريول : كنت أتخيل ثوبها الأبيض عند كل منعطف لممر يمرق ويختفي عن ناظري، وخلال أوراق الشجر التي لانفتت تتغير وتتلون، كان كل شعاع يذكرني بنظرتها ... وابتسامتها الحزينة، ولما كنت لا أزال جاهلا بالغرام وأفاعيله، فقد تصورت نفسي عاشقا، وطاب لي أن أكون كذلك فهيمت في سماوات الحب طائعا راضيا .

كم كانت الحديقة جميلة ! وخاصة وهي تنهيا في جلال لحزن المنصرف المنصرم . كنت منتشيا وأنا أنشج أريج الطحلب والأوراق الذائبة، وكانت أشجار الكستناء الفرعاء الصهباء، وقد تجردت من أوراقها تقريبا، تميل بأغصانها على الأرض حتى تمسها، وكانت بعض أغصان العوسج الأرجوانية تتلألأ من خلال المطر المنهمر ، وبدأ الكلا المجاور لها أخضر يانعاً، وكانت هناك بعض أزهار الكولشيك متناثرة فوق عشب الحديقة، وتحت ذلك بقليل، في الوادي الصغير، كان ثمة مرعى وردي اللون كأن الناظر يلمحه من الحجر، وفيه كنت أجلس عندما كان المطر يكف عن الانهمار، فوق الحجر نفسه الذي كنت قد



جلست عليه مع " كازيمير " أول يوم، ومن يدري فلعل الأنسة دسانت - أوريول جلست عليه فيما مضى ... فتوهمتنى أجلس إلى جوارها .

كان كازيمير يرافقتنى فى أغلب الأحيان، ولكننى كنت أفضل أن أسير بمفردى، وكان المطر فى كل يوم تقريبا يباغتنى وأنا فى الحديقة، فكنت أعود مبلا إلى المطبخ لأجفف ملابسى بالقرب من الموقد، ولم تكن الطباخة تحبى، وكذلك جراسيان، ولم أتمكن بتلطفنى ونظرفى معهما أن أنتزع منهما ثلاث كلمات، حتى الكلب، لم أستطع أن أجعل منه صديقا، رغم مداعبتى له وتملقى إياه، وكان " ترنو " يقضى أغلب النهار راقدًا فى الموقد الواسع، وكنت لا أكاد أقرب منه حتى يهب مزمجرا، أما كازيمير الذى كنت أراه فى أغلب الأوقات جالسا على حافة المدفأة يقشر الخضراوات، أو منهمكا فى القراءة فقد كان ضرب الكلب ضربا خفيفا زاجرا إياه، لأنه يسيئ استقبالى، وكنت أتناول الكتاب من بين يدى الصبى وأواصل القراءة بصوت مرتفع، فيستند على ركبتى وأشعر به وقد انصرف إلى بسمعه وقلبه .

ولكن المطر المنهمر فى ذلك الصباح باغتنى شديدا بحيث لم أتمكن من التفكير فى العودة إلى القصر، فأسرعت ولذت بأقرب مأوى وهو المبنى المهجور الذى رأيتاه فى نهاية الحديقة قرب الباب الحديدى، وكان عندئذ متهدما فيما عدا قاعة واسعة كانت لا تزال أنيقة كأنها قاعة استقبال أو مكان لنزهة، إلا أن أخشاب جدرانها المنخورة كانت تشقق وتتصدع لأقل صدمة .

وعندما دخلت دافعا بابها الذى لم يحكم إغلاقه حامت بعدد الحفايفش واندفعت خارجة من النافذة التى تعرت من زجاجها، وكنت أظن أن المطر لن يطول، ولكننى وأنا آخذ نفسى بالصبر، وجدت أن السماء قد اكفهرت وأريدت تماماً، وإذا بى مطوق فى حصار طويل الأجل، كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف، وكان أهل الدار لايتناولون الغداء إلا فى الثانية عشرة، ووجدت أننى سأنتظر حتى يدق الجرس الأول الذى ما من شك فى أن صوته يبلغ هذا المكان، وكان معى ما يلزم للكتابة، ولما كان يردى متأخراً، فقد حاولت أن أثبت لنفسى أن إشغال الفكر ساعة من الزمن لا يقل يسرا عن إشغاله يوماً بأسره، إلا أن خيالى كان لا يفتأ يردنى إلى ... أه ! لو كنت أعلم أنها ستظهر ذات يوم فى هذا المكان، لحسرت هذه الجدران بزفريات قلبى الولهان، وسرعان ما تملكنى ضيق ممض تثقله العبرات، ومكثت منهاراً فى ركن من أركان الحجرة، فلم يكن بها مقعداً أجلس عليه، وإذا بى أنفجر فى البكاء كطفل ضل السبيل .

من المؤكد أن لفظ الضيق أضعف من أن يعبر عن الأشجان المضنية التى كنت أقع فريسية لها فى كل حين، إن هذه الأشجان تستولى علينا فجأة، ونحن فى قمة سعادتنا، فقبل لحظة، يضحك لك كل شئ وتضحك أنت لكل شئ ، وفجأة إذا بغمامة سوداء داكنة تتصاعد من أعماق النفس وتقف حائلاً بين المتعة والحياة، وإذا بها تكون ستاراً أغبر يفصلنا عن بقية العالم، وإذا بحرارة هذا العالم وحبه وألمه وانسجامه لا تصلنا إلا فى صورة انعكاس مجرد، فنرى ولا نتأثر وربما أودى بنا ما نبذله من جهد يائس لاختراق هذا الستار الفاصل، إلى ارتكاب

أية جريمة، وقد يصل بنا الأمر إلى القتل أو الانتحار، وربما إلى الجنون ...

هذا ما كان يدور بخلدى وأنا أرهف سمعى للمطر المنهمر، وكنت أحتفظ فى يدي بمذبة ففتحتها لأبرى القلم، ولكن الورقة التى فتحت عليها مفكرتى ظلت بيضاء، وإذا بى أحفر بسن المذبة على سطح الجدار المجاور لى محاولا نقش اسمها، لم أكن أفعل ذلك عن اقتناع ولكن لأننى كنت أعلم أن العشاق المولعين يفعلون ذلك، وعلى أثر كل دفعة، كان الخشب البالى يتهاوى ويسقط، وكان كل حرف أنقشه يترك وراءه ثقباً، وبلا قصد منى، ولمجرد شغل الوقت شرعت فى تجريح الخشب كيفما اتفق مدفوعاً بغريزة الهدم البلهاء، وكان الغطاء الخشبي الذى كنت أحطمه يقع تحت النفاذة مباشرة، وكان إطاره منفصلاً فى أعلاه بحيث كان من السهل أن يسحب الغطاء كله من أسفل إلى أعلى بين الفرضات الجانبية، وهذا ما لحظته عندما فوجئت بمديتى ترفع هذا الغطاء الخشبي، فى غمار النقش والتجريح .

ولم تمض لحظات حتى كنت قد أجهزت على تفتيت الغطاء الخشبي، وإذا بمظروف يسقط على الأرض مع فتات الخشب، وكان هذا المظروف متسخاً عطناً قد اكتسب لون الجدار بحيث لم أندش له فى بادئ الأمر . كلا . لم أتعجب من رؤيته، فلم أجد من الغريب أن أجد فى هذا المكان، ومن ثم كان عدم تأثرى، فلم أسمع إلى فضه فى الحال، وكان دميماً، مغبراً، قدراً يظنه الناظر جزءاً من الانقراض، وإذا كنت تناولته، فإمّا كان ذلك ليشغل فراغى، وإذا كنت فضضته فإمّا كان ذلك بطريقة آلية، فأخرجت منه ورقتين مكتوبتين بخط كبير

غير منظم باهت اللون، يكاد أن يكون مححوا في بعض أجزائه، ماذا يفعل هنا هذا الخطاب ؟ ونظرت إلى التوقيع فذهلت ؛ لقد كان اسم إيزابيل مكتوبا في نهاية الورقتين !

كانت تشغل فكرى تلك اللحظة ... فتوهمت برهة أنها تكتب الرسالة لى : " حبيبى، هذه آخر رسالة منى لك ... إننى أكتب هذه الكلمات على عجل، لأننى أعرف أننى لن أستطيع هذا المساء أن أقول شيئا لك، فاشتغلت وهما إلى جوارك لن نجد سوى القبل، فاسمعنى بسرعة وأنا لا أزال قادرة على الكلام، أنصت لى :

لقاؤنا في الحادية عشرة متقدم جدا، فالأفضل أن يكون في الثانية عشرة إنك تعلم أننى أذوب لهفة إلى لقائك، وأن الانتظار يضيقنى، ولكننى حتى أسعى للقائك، لا بد أن ينام كل من فى الدار . أجل الثانية عشرة وليس قبل ذلك . تعال للقائى عند باب المطبخ ( سر بحذاء جدران بستان الخضراوات الذى يقع فى منطقة مظلمة، وكذلك فهناك أشجار العوسج ) انتظرنى هناك، وليس أمام الباب الحديدى، ولا أقول ذلك لأننى أخشى أن اجتاز الحديقة بمفردى، وإنما لأن الحقيقة التى أحمل فيها بعض ملابسى ستكون بالغة الثقل بحيث لن أقوى على حملها طويلا .

وإننى أرى من الأفضل أن تظل العربة فى طرف الشارع الضيق حتى تتمكن من رؤيتها فى سهولة، وكذلك بسبب كلاب المزرعة التى من الجائز أن تنبح وتوقظ النيام، فهذا أقرب للحرص .

كلا يا صديقي، فكما تعلم، لم تكن هناك من وسيلة إلى لقائنا مرة أخرى والاتفاق على هذا كله شفاها، إنك تعلم أنني أعيش هنا أسيرة وأن العجوزين أصبحا لا يسمحان لي بالخروج ولا لك بالدخول. أه! أي زنزانة هذه التي أفر منها ... ساهتم بأن آخذ معي ززوجاً من الأحذية كغيار أنتعله بمجرد أن نركب العربة، لأن العشب في طرف الحديقة مبلل بالماء .

كيف تسألني بعد ذلك إذا كنت عازمة ومستعدة ؟ ألا فاعلم يا حبيبي أنني منذ شهور أتهيأ، ومنذ شهور وأنا مستعدة، وها هي ذي أعوام مضت وأنا أنتظر هذه اللحظة ! وتسألني : ألن أندم على ذلك . . . نك إذن لم تفهم أنني أصبحت أمقت كل من تربطهم بي علاقة ، وكل ما يقيدني إلى هذه الدار . أهذه حقا " إيزا " الرقيقة المنتهية التي نتحدث إليك ؟ صديقي وحبيبي، ماذا صنعت بي، يا غرامى ؟ . .

إنني هنا أختنق، وأفكر في العوالم الأخرى التي تفتح لي أبوابها . . . إنني ظمأى ...

أوشكت أن أنسى أن أخبرك أنني لم أنجح في انتزاع فصوص الياقوت من علبتها لأن خالتي لم تعد تترك مفاتيحها في حجرتها، ولم ينجح في ذلك أي مفتاح آخر قمت بتجربته . . لا تؤنبنى، فلدى سوار أمي، والسلسلة المطعمة وخاتمان، وقد يكونان بلا قيمة كبيرة، ولكنني أعتقد أن السلسلة في غاية الجمال، أما عن المال . . فسأبذل كل جهدي، ولكنك أيضاً تحسن صنعا لو حصلت على مبلغ منه لك خالص دعواتي .

( الثاني والعشرون من أكتوبر الموافق عيد ميلادى الثانى والعشرين  
وليلة خلاصى )

صديقتك

إيزا

إننى أفكر فى رهبة، لو كان علىَّ أن أنسج رواية من هذه القصة  
الواقعية، فى الجهد الذى يتحتم علىَّ أن أبذله فى صياغة هذه  
الصفحات التى يستلزمها الإطناب، وفكرت بعد قراءتها، وتساءلت  
فى أمرها وانتهى بى التفكير إلى الحيرة والبلبل والحقيقة أننى عرفت  
فى وجوم أسبه بالوجوم الذى يستتبع صدمة عنيفة، وعندما بلغ  
سمعى، عبر اضطراب دماغى، صوت الجرس يدق ويكرر الدق،  
تبينت أنه صوت الجرس الثانى الذى يدعو للغداء، فكيف لم "أسمع  
الدقة الأولى ؟ وأخرجت ساعتى فوجدتها تشير إلى الثانية عشرة ..  
فقفزت إلى الخارج فى الحال أضمت إلى قلبى تلك الرسالة واندفعت  
عارى الرأس تحت وابل المطر المنهمر .

فلقيت آل فلوش قلقين لغيابى، ولما بلغتهما لاهثًا، صاحابى  
قائلين : إنك أيها السيد العزيز مبلى الثياب، مبلى تماما .

ثم رفضا أن يجلس أحد إلى المائدة قبل أن أغير ثيابى، فما أن  
نزلت حتى جعلوا يسألانى فى تودد المحب، فوجدتنى مضطرا لأن  
أقص عليهما أن المطر احتجزنى داخل المنزل وأننى ظللت أنتظر عبثا  
مهلة يمنحها المطر المنهمر . فاعتذرا عن رداءة الطقس وبشاعة الممرات ،  
كما اعتذرا عن دق الجرس الثانى قبل موعده بكثير ، وأن الجرس

الأول دق دقا أضعف من المعتاد . . . وانطلقت الأنسة " فيردور " لتحضر شالا رجائى آل فلوش أن أعطى به كنفى لأننى كنت لا أزال أتصيب عرقا ومن الجائز أن أصاب بسوء، وكان القس فى تلك الأثناء يراقبنى دون أن ينس بكلمة، وقد ضم شفتيه شديدا حتى بدا عابس الوجه وكنت شديد الحساسية بحيث إننى تحت وطأة نظرتة، شعرت بالخلجل والارتباك كطفل أتى ذنبا، فرأيت من الواجب أن أتودد إليه لأننى بعد ذلك لن أعرف شيئا إلا عن طريقه، فهو وحده يستطيع أن يجلو لى ما غمض من هذا الموضوع الشائك الذى أصبحت أتحذب نحوه بدافع الحب أكثر من دافع الفضول .

وبعد تناول القهوة، كانت السيجارة التى قدمتها للقس ذريعة للمحادثة، فتوجهنا للتدخين فى تعريشة البرتقال حتى لا نضايق البارونة، فبادرنى فى لهجة ساخرة قائلا :

- كنت أظن أنك لن تمكث هنا أكثر من ثمانية أيام .
- هذا ما كنت أنوى عمله، لولا تلطف أهل الدار !
- ووثائق السيد فلوش ؟
- استوعبتها . . ولكننى وجدت سببا أدعى للانشغال .
- وانتظرت منه استفسارا، ولكنه لم يقل شيئا .
- فاستطردت قائلا وقد نفذ صبرى :
- لا بد وأنت تعرف أسرار هذا القصر وخفائاه ؟

فجحظت عيناه، وقطب جبينه، وتظاهر بالبراءة والبلاهة . فقلت :

- لماذا لا تقيم مدام دسانت - أوريول، والددة تلميذك، هنا بيتنا، فتوزع اهتمامها بين ابنها العاجز والديها المسنين ؟

ولكى يجيد تمثيل دور المندھش، ألقى بسيجارته وفتح يديه كالفوسين حول وجهه، وهمهم قائلا :

- ربما كانت مشاغلها تستدعى وجودها فى مكان آخر . ياله من سؤال مغرض !

- هل تريد سؤالا أكثر تحديدا . . ماذا فعلت السيدة أو الأنسة دسانت - أوريول، والددة تلميذك ليلة ٢٢ أكتوبر حيث كان من المفروض أن يأتى حبيبها لاختطافها ؟

فحط قبضتيه على خاصرته وقال :

- عجباً ! عجباً ! ياسيدى الروائى .

كنت قبل ذلك قد وجدتنى منساقا إلى الإفضاء له بأسرارى، وهو إفضاء لا ينبغي أن يكون إلا لشخص يبادلنى ودا بود ؛ لأن القس ما أن أدرك مقصدى، حتى شرع يسخر منى بطريقة لا طاقة لى بها، وأضاف قائلا :

ألا ترى أنك تتسرع قليلا ؟ هل لى أن أسألك بدورى كيف توصلت إلى هذه المعلومات ؟

- إن الرسالة التى كتبته إيزابيل دسانت أوريول إلى حبيبها فى ذلك اليوم لم يكن قد تسلمها هو ، بل تسلمتها أنا .



فعلا، كان يجب أن يدرك مدى خطري، وفي تلك اللحظة لمح بقعة صغيرة على كم رداءه، فشرع يحكها بطرف ظفره، وبدأ يغير من موقفه .

إننى معجب بهذا التصرف . . ما أن اعتقد أحدكم أنه ولد روائيا حتى يستبيح لنفسه جميع الحقوق، ولو كان غيرك مكانك لفكر مرتين قبل أن يطلع على رسالة ليست موجهة إليه .

- بل إننى أرجو ألا يكون قد اطلع عليها بتاتا .

كنت أنفوس وجهه، غير أنه كان لا يزال يحبك رداءه، وقد غض من عينيه .

- ومع كل، فإننى لا أظن أن أحدا طلب منك أن تقرأها .

- لقد وقعت هذه الرسالة بين يدي عن طريق المصادفة، كان مظلوما رثا متسخا، شبه ممزق ولا يحمل أى أثر لكتابة، وعندما فتحت، وجدت رسالة موجهة من الأنسة دسانت - أوريول، ولكن إلى من كانت موجهة ؟ هيا ياسيدى القس عاوننى، من كان منذ أربعة عشر عاما عشيق الأنسة داسنت - أوريول ؟ كان القس قد انتصب معتدلا، فشرع يسير طولا وعرضا فى خطى قصيرة، مطأطئ الرأس، مشبكا يديه خلف ظهره، وما أن أصبح خلف مقعدى للمرة الثانية، حتى توقف، وشعرت على حين بغتة بيديه تستقران فوق كتفى :

- أرنى هذه الرسالة .

- هل ستكلم ؟

وشعرت بقبضتيه ترتجفان من اللهفة .  
- أه ! لا تشتط ، أرجوك .. أرني هذه الرسالة ... فقط .  
- دعني أذهب لأحضرها .  
- قلتها محاولا التخلص منه .  
- إنها معك هنا ، في جيبيك .  
كانت عيناه مسدودتين إلى مكان الرسالة كما لو كانت سترتي تكشف عنها ، فلعله لا يقوم بتفتيشي !  
كان وضعي لا يسمح لي بالدفاع عن نفسي ، وخاصة ضد عملاق أقوى مني ، ثم ما السبيل ، بعد ذلك إلى حمله على الكلام ؟ فالتفت .  
فإذا بوجهه يكاد ينطبق على وجهي كان وجهه منتفخا متورما خط جبينه عرقان ضخمان ، وأسفل عينيه جيوب بغیضة .  
فكلفت الضحك خشية أن أفسد كل شيء بيننا ، وقلت له :  
- لعمرى أيها القس ، أعترف أنك مثلي تعاني من الفضول !  
فأخلى سبيلي ، فنهضت في الحال ، وتظاهرت بالخروج .  
- لو لم تستخدم معي أساليب قطاع الطرق ، لكنت أريتك الرسالة .  
ثم قلت وأنا أتناوله من زراعه :  
- فلنقترب من قاعة الاستقبال ، لأتمكن من طلب النجدة .  
كنت أبذل مجهودا خارقا لأحافظ على روح الدعابة في لهجتي ،  
إلا أن قلبي كان يرق دقا شديدا .

- خذ، اقرأها أمامي، أريد أن أرى كيف يقرأ القس رسالة غرام .  
قلتها وأنا أخرج الرسالة من جيبى .

ولكنه وقد تملك نفسه من جديد، لم يظهر أى انفعال إلا من خلال رعشة خفيفة فى عضلة صغيرة على خده كان من المستحيل إخفاؤها، وقرأ الرسالة، ثم تشمم الورقة ونشقها وهو يقطب حاجبيه فى شدة وبطريقة يبدو منها أن عينيه تسخطان على نهم أنفه، ثم أعاد طى الرسالة وردّها إلى، وقال بلهجة شبه رسمية .

- فى نفس ذلك اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر، قُتل الفيكونت بليز جونفريفيل فى حادث أثناء قيامه بالصيد .

- رننى أنتفض فزعا لما تقول ( فسرعان ما نسج خيالى قصة مأساة مهولة ) ويجب أن تعرف أننى عثرت على هذه الرسالة خلف أخشاب الدار، وما من شك فى أنه كان من المفروض أن يحضر إلى ذلك المكان ليتسلمها .

وعندئذ أخبرنى القس أن أكبر أبناء جونفريفيل - وكانت ضيعتهم تجاور ضيعة آل دسانت أوريول - قد وجد قتيلا بجوار حاجز من الحواجز كان فيما يبدو أنه يجتازه، عندما أتى حركة خرقاء فانطلق عيار من بندقيته، ومع ذلك فلم يعثر فى ماسورة بندقيته على خرطوش العيار ولم يتقدم أحد بأية معلومات عن الحادث، فالشاب كان قد خرج بمفرده ولم يره أحد، إلا أنه فى اليوم التالى، عثر المارة على كلب من كلاب الكارفورش يعلق فى بركة من الدماء بالقرب من الدار .

وأردف القس قائلا :

- لم أكن بعد قد حضرت إلى قصر الكارفوش، ولكنه يبدو لي، طبقا للمعلومات التي تمكنت من جمعها أن جراسيان هو الذى ارتكب الجريمة، فليس من المستبعد أن يكون قد اكتشف ما كان بين سيده والفيكونت من علاقات، وربما علم كذلك بموضوع هروبها ( وهو موضوع كنت أجهله أنا نفسى قبل أن أقرأ هذه الرسالة ) فهو خادم عنيد، شرس، لا يتورع عن إتيان أى فعل فى سبيل الذود عن حمى أسياده .

- ولماذا لم يقبض عليه ؟

- لم يكن لأى أحد مصلحة فى اتهامه، وكان آل جونفريفيل وآل دسانت أوربول يخشيان ماقد يثار من شائعات حول هذا الحادث المفجع، وفوق ذلك، فبعد عدة شهور وضعت الأنسة سانت أوربول طفلا بائسا، وينسب الناس عاهة " كازيمير " إلى ما اتخذته أمه من تدابير بغية إخفاء حملها، ولكن الله يعلمنا أن عقاب الآباء غالبا ما يقع على الأبناء . تعال معى إلى الدار، فإننى مشوق إلى رؤية المكان الذى عثرت فيه على الرسالة .

كانت السماء قد عادت إلى صفائها، فاتخذنا طريقنا إلى الدار معاً، وتم ذهبنا على خير مايرام، فقد تناول القس دراعى، ومضينا نسير فى خطى متساوية ونتحدث بلا صدام، ولكن الأمر فسد عند عودتنا، فما من شك فى أن غرابة الحادث قد أثرت فى نفس كل منا، ولكن بطريقة مختلفة تماما، أما أنا، فأمام ما أظهره القس حيالى من

حسن الالتفات والتلطف فى اطلاقى على المعلومات، فقد نسيت مايمليه رداؤه من احترام وهيبة، كما نسيت تحفظى، ووجدتنى أتحدث إليه كما لوكان رجلاً عادياً .. وإليكما، فيما أعتقد، كيف دب لخلاف بيننا : كنت أقول له :

- من ذا يحكى لنا ما فعلته الآنسة دسانت-أوريول فى تلك الليلة !  
فما من شك أنها لم تعلم بخبر موت الكونت إلا فى الصباح ؟ فهل انتظرت فى الحديقة ؟ وحتى متى ؟ وماذا طنت عندما لم يأت ؟  
كان القس يلزم الصمت جامدا تماما، لا يتأثر لشاعريتى، فعدت أقول :

- تصور هذه الفتاة الرقيقة، وقلبيها مشغل بالغرام والأسى ورأسها مفعم بالهوس، إيزابيل، المتيمة ! فهمس القس :

- قل إيزابيل الفاجرة !

- فواصلت حديثى كأنما لم أسمع همسه، ولكننى كنت قد عزمتم على الدفاع عنها لو عاد إلى مهاجمتها .

- فكر فى كل ما كانت تعلقه من آمال، وما انتابها من يأس ..

فقاطعتنى فى جفاء :

- ولماذا تفكر فى هذا كله ؟ ليس علينا أن نعرف عن الأحداث سوى ما يفيدنا .

- ولكن الفائدة منها تختلف باختلاف المعلومات التى نعرفها عنها .

- ماذا تقصد بذلك ؟

- إن معرفتنا السطحية بالأحداث لا تتفق ومعرفتنا العميقة التي نستطيع فيما بعد أن نتوصل إليها، وأن المعلومات التي نستخلصها من كل هذين النوعين من المعارف لا تكون واحدة، وأن من الخير أن نتمعن الأمور وننقصها قبل أن نخلص إلى النتائج .

- صديقي الشاب، اعلم أن الميل إلى التمعن والتقصى وحسب الانتقاد هما جرثومة التمرد . إن الرجل العظيم الذى اتخذته مثالا كان أخرى أن يعلمك أن

- تقصد ذلك الذى أكتب عنه رسالتى .. يالك من مناكف لحوح، أمثل هذه الروح ..

- ولكن بالله عليك ياسيدى القس إلا أخبرتنى . أليس هذا الفضول نفسه هو الذى جعلك تصحبنى فى هذه الساعة، ودفعك منذ قليل إلى موضوع الرسالة، وحدا بك رويدا رويدا إلى معرفة كل هذا الذى أخبرتنى به من جوانب هذه القصة !

كان قد أسرع من خطاه، وغدت لهجته قاطعة، وجعل يضرب الأرض بعصاه زهقا متبرما .

- إننى لا أبحث مثلك عن تفسيرات للتفسيرات، فما أن أعلم بالحادث حتى اقتصر على معرفته . إن الوقائع الرهيبة التى أخبرتك بها تعلمنى، إذا كانت لاتزال هناك حاجة إلى تعليم، بشاعة الرذيلة التى يردينا فيها الجسد . وفيها إدانه للطلاق ولكل ما تفتق عنه عقل الإنسان ليتجنب نتائج ما جنته يده من أخطاء . أظن أن فى هذا الكفاية، أليس كذلك ؟

- ليس فى هذا الكفاية . إن الواقعة لاتعنى فى شئ مادمت  
لا أنفذ إلى سببها . إن معرفة الجانب الخفى فى حياة إيزابيل دسانت  
- أوريول، والاطلاع على المسالك العطرة الشجية المعقدة  
- حذار أيها الشاب ! لقد بدأت تهيم بها !  
أه .. هذا ماكنت أنتظره ! الآن المظهر لايفنى، ولقد أكتفى  
بالأقوال والإشارات .. أوافق أنت من أنك لاتسى الحكم على هذه  
المرأة ؟

إنها فاجرة !

- فإذا الغيظ يلهب رأسى، ولم أتمكن من كظمه إلا بمشقة بالغة .  
- سيدى القس، إن مثل هذه الألفاظ تدهشنى عندما تخرج من  
فمك . يبدو لى أن المسيح يعلمنا أن الصفح أجمل من التنكيل .  
- فارق بسيط بين التسامح والمجاملة .  
- لو قدر له أن يكون مكانك، لما قضى بمثل قضائك .  
- أولا، هذه الأمور لاتدرى عنها شيئا . ثم إن المعصوم من  
الخطايا يستطيع أن يكون حيال الآخرين أكثر تسامحا من ذلك الذى ..  
أقصد أننا نحن معشر العصاة ليس لنا أن نتحمل الأعذار للمعاصى،  
كل ما علينا عو أن نشيح عنها بوجهنا فى استنكار .  
- بعد أن نتشممها كما تشممت أنت عطر هذه الرسالة .  
- أنت وقح .

وحداد عن الطريق فجأة، وانطلق مسرع الخطى، سالكا طريقا ضيقا قريبا وهو يرميني على طريقة البارتيين<sup>(١)</sup> بعبارات جارحة لم أميز منها سوى هذه الألفاظ : تعليم حديث .. سوربوني .. زنديق .. !

وعندما التقينا علي العشاء كان لا يزال عابسا، ولكنه ما أن غادرنا المائدة حتى أقبل نحوى مبتسما، وبسط لى يدا شددت عليها وأنا أبتسم أيضا، ولاحث لى السهرة أكثر مللا من المعتاد . كان البارون يثن فى هدوء إلى جانب النار، وكان السيد فلوش والقس ينقلان نردهما دون كلام، ويطرف عيني، رأيت كازيمير، وقد دس رأسه بين يديه، يسيل لعبه فى بطاء فوق الكتاب فيمسحه من آن لآخر بحركة من منديله ، أما أنا، فلم أعر لعبة البيزيج من الاهتمام إلا ما لم يسبب لزميلتى خسارة فاضحة مخزية ، وكانت مدام فلوش تلاحظنى وتجزع لضجري، فكانت تبذل جهدا عظيما لتثير الحماسة فى اللعب :

- هيا يا أوليمب ! هنا دورك . هل تنامين ؟

كلا، لم يكن النعاس وإنما الموت الذى أصبحت أشعر بخدره الغامض يجمد أهل الدار، وأنا نفسى كنت أشعر بالقلق بل بالضيق يطبق على صدرى، وجعلت أخاطب نفسى قائلا وأنا أفكر فى إيزابيل : أيها الربيع ! أيها الرياح الهائلة، أيها العطور المغربية، أيها الموسيقى العذبة، لن تصلى إلى هذا المكان أبدا . ما أبشع القبر الذى أفلت منه

(١) شعب همجى عاش فى شمال أوروبا وآسيا ( ٢٢٥٥ م - ٢٢٤ ) كان يتظاهر بالفرار أمام أعدائه ، ثم يرميهم من فوق الجياد بالسهم التى يلقيها من فوق اكتافه موجهة إلى الخلف، ومن هنا جاء المثل الذى يقول : رماه بسهم البارتيين. أى أصابه واختفى . (الترجم)



وإلى أى حياة ياترى انطلقت ؟ إننى أتخيلك هناك فى ضوء المصباح الهادئ وقد وضعت جبينك الشاحب على أناملك الرقيقة، وخصلة من شعرك الفاحم تلامس معصمك وتداعيه . ما بال عينيك تتطلعان بعيداً وما هذا الضجر الذى يعانیه جسدك وروحك وتعبر عنه هذه الزفرة التى لا يسمعونها ؟ ومنى أنا أيضاً، ودون أن أدري، أفلتت زفرة هائلة أقرب إلى الثنائى أو النحيب ، حتى إن مدام " دسانت - أوربول " صاحت وهى تلقى بآخر ورقة على المنضدة :

- أظن أن السيد " لاكاز " يرغب رغبة شديدة فى النوم .

- يا للمرأة المسكينة !

وفى تلك الليلة، رأيت فى المنام حلمًا لم يكن فى بادئ الأمر سوى تنمة للواقع، فقد رأيت أننى، ولما تنته السهرة بعد، لا أزال فى حجرة الاستقبال، إلى جوار أهل الدار، ولكن جماعة لا يفتأ عددها يزيد، كانت تنضم إليهم، مع أننى لم أر أحداً آخر يدخل علينا، وتعرفت كازيمير جالساً إلى المنضدة أمام إحدى الألعاب . وكان ثمة ثلاثة رجال أو أربعة مائلين على اللعبة، وكان الحاضرون يتحدثون بصوت خفيض، بحيث إننى لم أتمكن من تمييز عبارة واحدة مما يقولون، ولكننى فهمت أن كل شخص يخبر جاره بأمر عجيب فيشير دهشته .

وكان الاهتمام موجهًا إلى مكان ما بالقرب من " كازيمير " حيث تعرفت فجأة إيزابيل دسانت أوربول " جالسة إلى المائدة ( كيف لم ألاحظها قبل ذلك ) كانت وحدها ترتدى ثياباً بيضاء وسط الحفل

القائمة، ولاحقاً لى فى بادئ الأمر جميلة ساحرة، شبيهة بالصورة، ولكننى سرعان ما أخذت بجمود ملامحها وثبوت نظرتها وأدركت فجأة ما كان يهمس به القوم .

لم تكن التى أمامنا إيزابيل الحقيقية، وإنما دمية تشبهها يضعونها مكانها أثناء غياب الأصل، وعندئذ بدت لى هذه الدمية قبيحة دمية، وضاق صدرى أمام مظهر غاباتها المتحذلق، كان الناظر يظنها ساكنة تماماً، وأنا أحرق النظر فيها رأيتها تميل فى ببطء إلى جانب، تميل وتميل حتى كادت تسقط، فانطلقت الأنسة " أوليمب " من الطرف الآخر لحجرة الاستقبال، ومالت حتى بلغت الأرض، ورفعت غطاء الكرسي الموسد، وملأت زنيكا جعل يصدر صريراً غريباً، فإذا بالمسخة تعتدل وتحرك ذراعيها حركة آلية غريبة تثير الضحك، ثم نهض الجميع عندما حان وقت الانصراف، تاركين خلفهم إيزابيل الزائفة وحدها، وكان كل فرد من المنصرفين يحييها بانحناءة على الطريقة التركية، فيما عدا البارون الذى اقترب منها دون مراعاة، وأمسك شعرها المستعار بقبضته وطبع على جبينها قبلتين رناتين وهو يضحك مقهقها، وما أن خلت حجرة الاستقبال من الزائرين - وقد رأيت جمهوراً غفيراً يخرج - وأطبق الظلام، حتى رأيت، نعم رأيت رغم الظلام، رأيت الدمية وقد شحب لونها، وانتفض بدنّها، وسرت فيها الحياة، كانت تنهض فى ببطء، فإذا بها الأنسة دسانت أوريول بشحمها ولحمها، فتوجهت نحوى بلا ضراء، وسرعان ما شعرت بذراعيها الفاترتين تطوقان عنقى، واستيقظت على حر أنفاسها وهى تقول لى :

- إننى بالنسبة لهم غائبة، أما بالنسبة لك فإننى حاضرة .

أنا لست متطيرا ولا هيايا، وإذا كنت قد أشعلت شمعتي، فذلك  
لكي أصرف عن عيني وعن رأسي هذه الصورة المائلة أبدا، ولقد  
تجشمت في سبيل ذلك مشقة كبيرة، وعلى الرغم مني كنت أتنصت  
على كل صوت، فعساها تكون موجودة . . . وعيشا أخذت نفسي  
بالقراءة، فلم أتمكن من صرف انتباهي عنها إلى أي شيء آخر وهكذا،  
وأنا غارق في التفكير فيها، عاودني النوم حتى الصباح .

---

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----

وهكذا فتتربص الحماسة التي لازمت فضولى ، فضبول العاشق، ولم أتمكن من إرجاء رجلي أكثر من ذلك بعد أن أخبرت به أهل الدار مرة أخرى، وكان ذلك اليوم هو آخر أيامى فى الكافورس، وفى ذلك اليوم . .

نحن الآن على الغداء فى انتظار البريد الذى اعتادت « ديفلين » أن تحمله إلينا قبل تقديم الحلوى بقليل ، وكما سبق أن قلت، إنها كانت تسلمه لمدام فلوش، فتتولى هذه توزيع الرسائل وتقديم جريدة « الحوار » إلى السيد فلوش الذى يختفى خلف صفحاتها حتى تغادر المائدة، وفى ذلك اليوم تعلق مطروف رسالة بنفسجى اللون بطرف الجريدة، وانفصل عن الخزمة وطار حتى حط فوق المائدة بجوار طبق مدام فلوش، وتمكنت من التعرف على الخط الكبير غير المنظم الذى دق له قلبى مساء أمس، وتعرفت عليه أيضا مدام فلوش فيما يبدو، فأنت حركة سريعة لتغطى المطروف بطبقها، إلا أن الطبق اصطدم بكوب فحطمه وانتشر النبيذ فوق المفرش، وقد أحدث ذلك ضوضاء

عالية، فانتهزت مدام فلوش ذلك الاضطراب وأدخلت المظروف في قفازها .

وقالت في سذاجة طفل يتحل عذرا :

- لقد أردت أن أسحق عتكبا .

( وكانت لا تفرق بين العناكب وغيرها من الحشرات التي تخرج في بعض الأحيان من سلة الفواكه ) ونهضت مدام سانت أوربول ملقية بمنشفتها دون طى فوق المائدة، وقالت في لهجة حادة :

- أراهن أنك أخطأت هدفك . إلحقى بى فى حجرة الاستقبال .

معذرة أيها السادة ، فقد عاودنى المغص .

وانتهى العشاء فى صمت، ولم ير السيد فلوش شيئا، ولم يدرك السيد سانت أوربول شيئا، وكذلك كان القس والأنسة فيردور يسلمطان النظر كُلى فى طبقه، ولو لم يتمخط كازيمير، لرأيته يبكى .

كان الجو فاترا، وأحضرت الأنسة فيردور القهوة إلى الشرفة الصغيرة التى تمثلها البسطة المفضية إلى حجرة الاستقبال، كنت بمفردى أتناول القهوة مع الأنسة فيردور والقس، وبلغت آذاننا ضوضاء وأصوات آتية من حجرة الاستقبال التى حبست فيها السيدتان، ثم لم نعد نسمع شيئا، فقد صعدت السيدتان .. وعندئذ، لو صدقنى الذاكرة، دارت مشاحنة شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .

كانت الأنسة فيردور والقس فى حالة حرب دائمة، ولم تكن المعارك بينهما جادة خطيرة، فقد كان القس يبغى الضحك والمزاح، إلا أن أكثر ما كان يثير سخط الأنسة فيردور، هى لهجة القس الساخرة التى كان يتحدث بها . كانت تعرض نفسها لضربات فيكيل لها فى الصميم، وكان لا يكاد يمضى يوم واحد دون أن ينشب بينهما صدام، كان القس يسميه مشاحنة، فقد كان يزعم أن صحة العانس فى حاجة إلى مثل هذه المشاحنات، فكان يفعل بها ما يشاء، وهى تطيعه وتنفذ ما يريد، أشبه بكلب مطيع، ولم يكن فى ذلك شرسا أو ميالا للإيذاء، مع أن تصرفاته معها لم تكن تخلو من المكر والخبث وإثارة الأعصاب، كان هذا يشغل أوقاتها ويملأ الحياة من حولهما بهجة ومرحاً .

كانت الحادثة التى وقعت أثناء تناولنا الحلوى قد أثارت أعصابنا، وحاولت أن أصرف الأذهان عنها، وعندما كان الأب يصب القهوة، عثرت يدي على حزمة من أوراق الشجر داخل جيب سترتى، كنت قد قطفتها من شجرة غريبة تنمو بجوار الباب الحديدى للمدخل، لكى أسأل الأنسة فيردور عن اسمها، ولم يكن ذلك لأننى شغوف بمعرفتها، ولكن لأن الأنسة فيردور كانت تسر عندما يلجأ إليها أحد ليستفسر منها عن أمر من الأمور .

فقد كانت تهتم بعلم النبات، وكانت فى بعض الأيام تخرج لجمع الأعشاب وقد علقت فوق كتفيها القويتين علبة خضراء، فتبدو غريبة الشكل، وتقضى بين أعشابها ومجهرها ما تسمح به أعمال المنزل من

فسراغ .. وعلى ذلك فقد تناولت الأنسة فيردور الغصن وقالت  
دون تردد :

- هذا غصن من شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .  
فعمقت قائلا :

- ياله من اسم غريب! ومع ذلك فإن هذه الأوراق المدببة لا علاقة  
لها بتاتا بأوراق ..

كان القس منذ لحظة يضحك فى خبث، فقال دون أن يعير الأمر  
أى اهتمام :

- هكذا يسمون فى الكارفورش شجرة « الفاجوس بيرسيسيفوليا » .  
فانتفضت الأنسة فيردور وعمقت قائلة :

- لم أكن أظنك عارفا بعلم النبات إلى هذا الحد .

- كلا، ولكننى ملتم إلى حد ما باللغة اللاتينية .

ثم مال على وأضاف قائلا :

- إن هؤلاء السيدات يقعن ضحية خطأ لا دخل لهن فيه .  
إن كلمة بيرسيسيكوس يا آنستى العزيزة، معناها الخوخ لا البقدونس،  
وعلى ذلك فإن « الفاجوس بيرسيسيفوليا » التى لاحظ السيد لاكار  
أوراقها، المدببة إنما هى « شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » .

كان وجه الأنسة فيردور قد امتنع لونه، وكان الهدوء الذى أظهره  
القس قد أهاج أعصابها إلا أنها تمكنت أن تقول دون أن تنظر إليه :

- إن علم النبات الحقيقى لا يهتم بالشواذ ولا بالمسوخ .



ثم أفرغت فتجانها دفعة واحدة ومضت كالريح .  
كان القس قد ضم شفتيه فأصبح فمه مثل مؤخرة الدجاجة،  
وجعلت تخرج منه أصوات أشبه بالضراط، وبذلت مجهودا كبيرا حتى  
لا أضحك .

- هل تكون شرسا هكذا يا سيدى القس ؟

- كلا، كلا . . إن هذه الآنسة التى لا تؤدى كفايتها من  
التمرينات، فى حاجة إلى أن نلهب لها دمه، وهى تميل إلى العراك،  
تصور أننى لو مكثت ثلاثة أيام دون أن أناوشها لأتت بنفسها وبدأت  
النزال، ثم إن وسائل اللهو فى الكارفورش ليست كثيرة !  
وعندئذ شرع كلانا، بلا كلام، يفكر فى رسالة الغداء، ثم بادرت  
بسؤاله قائلاً :

- هل عرفت ذلك الخط ؟

فهز كتفيه وقال :

- قبل الآن، أو بعده بقليل، تصل مثل هذه الرسالة إلى  
الكارفورش مرتين كل عام، وذلك بعد سداد إيجارات المزرعة،  
وبها تعلن عن حضورها :

فصحت قائلاً :

- أو ستحضر هى ؟

- هون عليك ! هون عليك فلن تراها .

- ولماذا لا أستطيع أن أراها ؟

- لأنها تحضر فى منتصف الليل، وترحل فى الحال، ثم إنها تتجنب النظرات .. ثم حذار من جراسيان، كان يحدق النظر فى وجهي : فلم أحرك ساكنا، فاستطرد فى لهجة المحتد :

- أنت لم تعمل حسابا لما قلت لك، وهذا يبدو واضحا، ولكننى أنذرتك، فافعل ما بدا لك، وأتتني غدا بالأخبار .

ونفض وتركنى دون أن أتمكن من معرفة هل كان يحاول أن يحد من فضولى أم كان بالعكس، يثيره ويلهبه، وحتى المساء ظل فكرى الذى لا أحب أن أصف اضطرابه، ظل لا شاغل له إلا انتظارها . أمن الممكن أن أكون وقعت فى حب إيزابيل؟ كلا، بالطبع، ولكننى تماديت فى لهوى حتى تحرك قلبى بمثل هذا العنف، كيف لا يختلط على الأمر ؟ وقد صادفت فى فضولى كل ما يصاحب الغرام من شوق وارتباك ولهفة، ولم تزدنى كلمات القس الأخيرة إلا حماسة وتصميما، ماذا يستطيع أن يصنع بى « جراسيان » ؟ لسوف أسير فوق الشوك والجمر إن دعا الأمر .

وما من شك فى أن أمرا ما غير عادى كان يُدبر، ففى ذلك المساء لم يقترح اللعب أحد ، وما أن فرغنا من العشاء، حتى بدأت مدام سانت أوربول تشكو مما كانت تطلق عليه « مغصا »، وإذا بها تنسحب بلا استئذان، وتجهز لها الأنسة فيردور شرابا ساخنا، وما هى إلا لحظات حتى طلبت مدام فلوش من كازيمير أن يذهب لينام، وما أن انصرف الغلام حتى قالت لى :

- أعتقد أن السيد « لأكاز » يرغب فى النوم أيضا، فيبدو أن  
النحاس يداعب أجنانه، ولما لم أبادر بالإجابة على تعليقها أضافت قائلة :

- آه .. أعتقد أنه ما من أحد منا سيطيل السهرة أكثر من ذلك .

ونهضت الأنسة « فيردور » لتشعل الشموع، وسرت فى أثرها أنا  
والقس، فرأيت مدام فلوش تميل على زوجها الذى كان يغط فى نومه  
فوق المقعد بالقرب من الموقد، فنهض من فوره ثم سحب البارون من  
ذراعه فأطاعه هذا الآخر كما لو كان يدرك معنى تلك الحركة، وعلى  
بسطة الطابق الأول كان كل منا يحمل شمعة، فانصرف كل إلى  
حجرتة، وعندئذ قال لى القس بابتسامة غامضة :

- طابت ليلتك ! وهنت بنومك .

فأغلقت باب حجرتى، ثم مكثت أترقب . لم تكن الساعة قد  
تجاوزت التاسعة، وسمعت مدام فلوش وهى تصعد إلى حجرتها، ثم  
سمعت الأنسة فيردور، وحدثت على بسطة السلم مشادة حامية بين  
مدام فلوش ومدام سانت أوربول التى كانت قد خرجت من حجرتها،  
وكانتا يعيدتين عنى بحيث لم أتمكن من تمييز ما تبادلناه من الألفاظ،  
ثم سمعت ضوضاء أبواب تغلق، ثم لم أعد أسمع شيئا .

وتمددت فى فراشى حتى أنصرف إلى التفكير، فاستعدت التمنيات  
الطيبة بالنوم الهانئ التى ودعنى بها القس، وتمنيت لو عرفت هل تهيأ  
هو للنوم أم أنه ترك الحبل على الغارب للفضول الذى أنكره أمامى ؟  
ولكنه كان يرقد فى جناح آخر من القصر يقع فى الطرف المقابل

لحجرتي، ولم يكن هناك من سبب وجيه يبرر انتقالى إليه، ومع ذلك  
فأينا سيكون حرجا لو فاجأ كل منا صاحبه في الدهليز ؟ وبينما أنا  
غارق في التفكير ، وقع لى حادث سخيف مخجل لا يمكننى أن  
أصرح به، فغلبنى النوم .

أجل، فإن الإجهاد الذى تملكنى من فرط الانتظار بعد الليلة  
السابقة التى قضيتها فى الأرق والقلق، تغلب على رغبتى وحرصى  
فى البقاء ساهرا متيقظا، فاستغرقت فى نوم عميق .

واستيقظت على طقطقة الشمعة وهى توشك على النفاد،  
أو ربما استيقظت على حركة هزت أرضية الدهليز فى صوت مكتوم  
سمعتها أثناء نومي، ما من شك فى أن أحدا سار فى الدهليز،  
فاعتدلت قاعدا، وفى تلك اللحظة انطفأت شمعتى، فمكثت فى ظلام  
الليل حائرا، ولم يكن معى ما أستضيئ به سوى بضعة أعواد من  
الثقاب، فحككت أحدها لأستبين الوقت من ساعتى، كانت الحادية  
عشرة والنصف .. فأرهفت سمعى .. ولكننى لم أعد أسمع شيئا  
وقمت أتحسس طريقى حتى بلغت باب الحجرة ففتحته .

كلا، لم يكن قلبى يدق رجفة أو اضطرابا ، بل كنت أشعر أننى  
خفيف الجسم، رابط الجأش، مطمئن النفس، متفتح الذهن،  
حازم الأمر .

وفى الطرف الآخر للدعليز كانت ثمة نافذة ترسل ضوءها فيصلنى  
لا رائقا صافيا كضوء الليالى الهادئة، وإنما ضوءاً خفائفا ينجلى حيناً  
وحينا يستتر، فقد كانت السماء تمطر، وكانت الرياح أمام القمر تحمل

سحباً كثافاً، وكنت قد خلعت حذائي، فتقدمت بلا وضوء .. ولم أكن بحاجة إلى إمعان النظر لأبلغ المكان الذي كنت أعدده للمراقبة، وكان يمثل حجرة صغيرة مهجورة بجوار حجرة مدام فلوش، حيث كان يدور الهمس بعيداً عن الأنظار، وكان السيد فلوش يشغل هذه الحجرة في بادئ الأمر ( ولكنه الآن أصبح يفضل جوار كتبه على جوار زوجته ) وكان الباب الموصل إليها قد انفتح قليلاً، وكنت قد أحكمت إغلاقه بالمزلاج حتى أتجنب المفاجأة، فتأكدت أنني أستطيع أن أنظر بعيني من تحت إطار الباب، ولكي أبلغ ذلك، كان لابد لي أن أجلس فوق خزانة كنت قد دفعتها قريباً من المكان .

وفي تلك اللحظة كان يتسرب من تلك الفتحة بصيص من النور ينعكس على سقف الحجرة الأبيض فيهديني ويرشدني - ووجدت كل شيء على حاله التي تركته عليها في النهار- فصعدت فوق الخزانة وجلت ببصري في أرجاء الحجرة المجاورة ..

كانت إيزابيل سانت أوريول موجودة .

كانت أمامي على بعد خطوات مني .. جالسة على كرسى منخفض بلا مسند، سبب وجوده دهشتي في تلك الحجرة العتيقة، سيما وأنني لا أذكر أنني رأيته فيها عندما دخلتها أحمل الزهور، كانت مدام فلوش تجلس غائصة في مقعد موسد كبير، وكان إلى جوار الكرسى منضدة صغيرة، عليها مصباح يلقى عليها وعلى الأنسة « إيزابيل » ضوءاً ضعيفاً، وكانت إيزابيل تدبر لي ظهرها، وكانت مائلة إلى الأمام تكاد أن تكون راقدة في حجر خالتها العجوز بحيث

لم أتمكن فى بادئ الأمر من رؤية وجهها، وسرعان ما رفعت هامتها، وكنت أتوقع أن أراها وقد تقدمت فى السن، مع أننى لم أكد أتعرف فى وجهها على تلك الفتاة التى طالعتها فى الصورة، وليس معنى هذا أنها كانت أقل جمالاً من الصورة، بل لقد كان جمالها من نوع آخر، جمالا أقرب إلى عالم الأرض ودنيا البشر، فإن تلك البراءة الملائكية التى تطالعها فى الصورة قد زالت ليحل مكانها وجه ناعس ساهم عاطفى، وارتسمت فى طرفى شفيتها تغضنات تنم عن اشمئزاز لا أدرى كنهه، بينما هى فى الصورة فاعرة الشفتين، وكانت تندثر بمعطف سفير ضد الماء من قماش شائع فيما يبدو، ولما كان المعطف مرفوعاً من ناحية، فقد أبان عن ثوب أسود لامع تدلت عليه يد تعرت من قفازها تمسك بمنديل، وكانت هذه اليد تبدو شاحبة هزيلة بطريقة غريبة، وكان رأسها مكسواً بغطاء من اللباد والريش المموج، يحوطه شريط من الحرير تدلت من تحته خصلة من الشعر الفاحم، ما أن تميل برأسها حتى تنطرح إلى الأمام فتحجب وجنتيها. كان الناظر يظنها فى لباس الحداد لولا شريط لامع أخضر يحيط برقبتها، ولم تكن تنطق بكلمة لا هى ولا مدام فلوش، إلا أنها كانت بيدها اليمنى تربت على ذراع مدام فلوش وتحذبها نحوها، ثم ما لبثت أن انهالت عليها لثما وتقبيلا .

وبعد ذلك رأيتها تهز رأسها، فتتمايل خصلات شعرها، وتهفهم ذات اليمين وذات اليسار، عندئذ قالت وكأنها تعقب على عبارة قالتها من قبل :

- كل الوسائل، لقد جربت كل الوسائل، أقسم لك . .

فقاطعتها العجوز المسكينة وهى تضع يدها فوق جبين الفتاة :

- لا تقسمى يابنيتى المسكينة، إننى أصدقك بلا قسم .

كانت كل منهما تتحدث فى صوت خفيض أشبه بالهمس كما لو كانتا تخشيان أن يسمعهما أحد ، واعتدلت مدام فلوش فى جلستها، ودفعت ابنة أختها فى رقة ثم استندت على ذراعى المقعد، ونهضت، ونهضت الآنسة سانت أوريول بالمثل .

وبينما كانت العجوز تنجسه نحو الخزانة التى كان « كازيمير » قد أخرج منها الصورة أول أمس ، تقدمت الفتاة فى نفس الاتجاه بضع خطوات، وتوقفت أمام منضدة صغيرة مسندة إلى الجدار وعليها مرآة كبيرة، وبينما كانت العجوز تنقب فى أحد الأدراج، لمحت الآنسة فى المرآة الشريط الزمردى الذى يطوق عنقها فبادرت بنزعه على عجل، ولفته حول أصبعها . . وقيل أن تلتفت مدام فلوش، كان الشريط الصارخ قد اختفى، وكانت إيزابيل قد اتخذت هيئة التفكير والتأمل وتدلت يداها إلى الأمام متشابكتين، وغابت نظرتها .

وكانت مدام فلوش لا تزال تمسك فى إحدى يديها بحزمة المفاتيح، وفى يدها الأخرى لفة صغيرة من الأوراق أخرجتها من الدرج، وكانت تهتم بالجلوس فى مقعدها الموسد، عندما فتح الباب المواجه للباب الذى كنت أقف عنده، فجأة وعلى سعته، فكدت أصبح من شدة الدهشة، فقد ظهرت البارونة فى إطار الباب شعثاء مكشوفة الجبين مخضبة الوجه فى ثياب فضفاضة وعلى رأسها غطاء ضخم من

الريش، وكانت تحمل شمعدانا ذا ست شعب، أخذت تهزّه هذا عنيّفاً، وكانت كل شموعه مشتعلة فتغمرها بضوء خفاق، وتنشر على الأرض قطرات من النور ولما كانت منهكة القوى، فقد أسرع بوضع الشمعدان فوق المنضدة الصغيرة التي تحمل المرأة، ثم عادت في أربع خطوات خفيفة إلى مكانها في إطار الباب، ثم تقدمت من جديد في خطى منتظمة، وبطريقة مهية تشيح بيدها المثقلة بالخواتم الضخمة، وما أن بلغت منتصف الحجرة، حتى توقفت والتفت مرة واحدة ناحية ابنتها، وقالت وهي لا تزال متوترة الحركة، وفي صوت حاد يكاد يخترق الجدران :

- إليك عني، أينما البنت العاقّة ! لن أتاثر لدموعك، وشكايانك قد ضلت سبيلها إلى قلبي حتى الأبد .

جاء هذا القول بطريقة خطابية أشبه إلى الصراخ، في نعمة واحدة، وفي هذه الأثناء كانت « إيزابيل » قد ارتجت عند قدمي أمها، وأمسكت بطرف ثوبها وجذبت كاشفة عن حذاءين صغيرين من الحرير الأبيض، وجعلت تضرب بجبينها الأرض التي كان يكسوها بساط في ذلك الموضع، إلا أن مدام سانت أوريول لم تخفض نظرها لحظة واحدة، واستمرت تصوب إلى الأمام نظرات حادة جامدة كصوتها، ثم أردفت تقول :

- أو لم نكتفى بأنك جلبت الشقاء على أهلك، فتريدين أن تتماذي في ..

وهنا خفض صوتها على حين بغتة، فالتفت ناحية مدام فلوش،



وكانت هذه قد تضاءلت وأخذت ترتجف في مقعدها الموسد،  
وخاطبتها قائلة :

- أما أنت يا شقيقتي، فلو كان الضعف لا يزال . .

ثم استدركت قائلة :

- لو دفعك ضعفك الآثم إلى النزول مرة أخرى على تضرعاتها،  
ولو كان ذلك بقبلة، ولو كان ذلك بأقل عطاء، فتأكدى، كما أنك  
متأكدة أنني شقيقتك الكبرى، أنني سأهجرك، ولن ترى لى وجهها  
ما حبيت .

كنت كأني في مسرح، ولكن لما كانت هاتان السيدتان لا تتمكنان  
من ملاحظة نفسيهما، فلمن ياترى كانتا تمثلان هذه المأساة ؟ وكذلك  
كانت الفتاة مبالغة في حركتها وإيماءاتها متكلفة فيها مثل أمها . .  
وكانت الأم تواجهني بحيث كنت أرى إيزابيل من ظهرها، وقد ركعت  
واتخذت وضع « أستير (١) » وهي تتضرع، وإذا بي أرى قدميها  
فوجدتهما متعلتين حذاء من الحرير فى لون الخوخ . هكذا بدا لى  
تحت طبقة الوحل التى كانت تعلموه، وكانت ترتدى جوربا أبيض رأيت  
أعلى الحذاء ترك عليه طرف الثوب المبلل الموحل عندما رفع بقعة قدرة . .  
وعلى حين فجأة، دوى فى أعماقي كل ما تحكيه هذه الأشياء من

(١) زوجة الملك أسوويروس . تمكنت بتضرعها وتوسلها إلى هذا الملك من الحصول على  
عفو شامل عن اليهود أهل ملتها، ثم هى بطلا إحدى مسرحيات راسين ( المترجم ) .

مغامرات وشقاء دويًا فاق في قوته شتائم العجوز، وإذا بعبرة  
تخفق حلقى، فقرررت أن ألحق « بايزابيل » في الحديقة، عندما  
تغادر القصر .

وفي تلك الأثناء كانت مدام فلوش قد تقدمت ثلاث خطوات  
مقتربة من مقعد مدام سانت أوربول :

- هيا، أعطيني هذه الأوراق المالية . أنظنين أنني لا أراها وأنت  
تفركينها تحت ففازك ؟ أنظنيني عمياء أو مجنونة ؟ أعطيني هذه النقود  
قلت لك !

وما أن استولت على النقود حتى قربتها من لهب شمعة من شموع  
الشمعدان بطريقة مسرحية وهي تقول :

- إننى أفضل أن أقوم بإحراقها جميعا ( هل يجب أن أقول إنها  
تفعل ذلك ؟ ) على أن أعطيها منها فلسا واحدا .

ودست الأوراق المالية فى جيبيها، واستأنفت إلقاءها :

- أيتها البنت العاقبة . . أيتها البنت الجاحدة . إن الطريق التى  
سلكتها أساورى وعقدانى ستجعلين خواتمى أيضا تسلكها !

وبينما كانت تقول ذلك، هزت يدها المبسوطة فى حركة خفيفة  
فسقط منها خاتمَان أو ثلاثة فوق البساط، فما كان من إيزابيل إلا أن  
انقضت عليها أشبه بكلب جائع ينقض على العظام .

- انصرفى الآن : لم يعد بيننا ما يقال، وأنا بريئة منك . .

وتناولت مطفأة للشموع من فوق المنضدة، وجعلت تطفئ الشموع  
الواحدة تلو الأخرى ثم انصرفت .

وعندئذ بدت الحجرة مظلمة، وفي تلك الأثناء كانت « إيزابيل »  
قد نهضت، فمررت أصابعها على وجنتيها وطرحت إلى الوراء  
خصلاتها المتناثرة وأصلحت من وضع قبعتها، وهزت جسمها فعدلت  
المعطف وكان قد انحسر عن كتفيها قليلا ثم مالت على مدام فلوش  
لتوديعها، ولاح لى أن المرأة المسكينة كانت تحاول أن تكلمها، غير أن  
صوتها كان من الضعف بحيث لم أميز منه شيئا، فما كان من إيزابيل  
إلا أن تناولت إحدى يدي العجوز المرتجفتين وضغطت عليها بشفتيها  
دون أن تنبس بحرف واحد، وما هي إلا لحظة، حتى انطلقت إلى  
الدھليز فى أثرها .

وفى اللحظة التى كنت أهبط فيها السلم، أوقفنى صوت ما،  
فعرفت فيه صوت الأنسة « فيردور » التى لحقت بها « إيزابيل » فى  
المدخل، ورأيتهما وأنا أميل على الدرابزين، كانت « أوليمب فيردور »  
تمسك بيدها مصباحا صغيرا، وكانت تقول :

- هل سترحلين دون أن تقبليه ؟ - وفهمت أنها تتحدث عن  
« كازيمير » - ألا تريدين أن تلقى عليه نظرة ؟  
- كلا، يالولى، إنى متعجلة للغاية، لا يجب أن يعرف أننى  
حضرت .

وحل صمت وحركات لم أدرك معناها في بادئ الأمر، ثم اضطرب المصباح عاكسا ظلالا متراقصة .  
وتقدمت الأنسة فيردور، وتقهقرت إيزابيل بضع خطوات، ثم سمعت :  
- بلى، بلى، ذكرى لك منى . لقد احتفظت به منذ زمن طويل، أما الآن وقد تقدمت بى السن، فماذا أفعل به ؟  
- لولى، لولى . أنت خير ما أتركه هنا .  
فضمتها الأنسة « فيردور » بين ذراعيها :  
- آه ! ياللمسكينة ! إنك مبللة تماما .  
- إنه المعطف فقط .. ليس هناك من خطر . دعيني أنصرف بسرعة .  
- خذى معطفنا يقيق المطر على الأقل .  
- لقد كف المطر .  
- المصباح .  
- ماذا سأصنع به ؟ إن العربة قريبة جدا . وداعا .  
- الوداع، يا ابنتى المسكينة . أتمنى على الله أن ..  
وغابت بقية العبارة فى النحيب، ومكنت الأنسة فيردور بضع لحظات مائلة بجسمها فى ظلام الليل، وصعدت هبة ريح رطبة من الخارج إلى بير السلم، ثم سمعت الأنسة فيردور تدفع المزلج فى الباب الذى كانت قد أغلقته ..

لم يكن بوسعى أن أمر أمام الأنسة « فيردور »، وكان « جراسيان » يحمل معه فى كل مساء مفتاح باب المطبخ، وكان هناك باب آخر فى الطرف الآخر من القصر كان من السهل أن أخرج منه، ولكن الطريق إليه كان طويلا، فقبل أن أبلغه تكوّن « إيزابيل » قد لحقت بعريتها . آه ! لو أناديتها من النافذة . . وأسرعت إلى حجرتى . كان القمر قد عاد إلى الاحتجاب، فانتظرت لحظة أتربص صوت الخطى فهبت ريح شديدة، وبينما كان « جراسيان » يعود إلى المطبخ . سمعت من خلال حفيف الأشجار المضطربة عربة إيزابيل وهى تنطلق مبتعدة .



كنت قد أجلت كل مصالحى طويلا، فما أن عدت إلى باريس، حتى استولت على المشاغل الكثيرة التى صرفت إليها ذهنى واستأثرت بتفكيرى، وكان القرار الذى اتخذته بخصوص عودتى إلى الكارفورش فى الصيف القادم قد خفف من حدة أسفى لأننى لم أتماد فى المغامرة التى كنت قد بدأت أنساها، عندما تلقيت فى نهاية يناير إشعارا مزدوجا، فقد توفى السيد فلوش ولحقت به زوجته بعد فترة قصيرة، وعلى المظروف تعرفت على خبطة الأنسة « فيردور » ولكننى أرسلت إلى « كازيمير » بعبارات الأسف والمشاركة المألوفة، وبعد أسبوعين تلقيت هذه الرسالة :

عزيزى السيد جرار :

( لم يرتض الطفل أن يدعونى بلقب العائلة ) .

وكان قد سألنى قد إحدى نزهاتنا، وبالتحديد فى نفس اليوم الذى بدأت أحدثه فيه بلا كلفة، قال :

- ما اسمك ؟

- ولكنك تعرفه، يا كازيمير، اسمى السيد « لاكاز » .

- فعاد يقول :

- كلا، لا أريد هذا اللقب، وإنما أريد اسمك أنت ؟

« جميل منك أن تكتب لى، وكان خطابك جميلا، لأن الكارفورش الآن أصبحت حزينة، لقد أسببت جدتي يوم الخميس بوعكة، ولم يعد باستطاعتها أن تغادر حجرتها، هذا ولقد عادت والدتى إلى الكارفورش، ورحل الأب عنها، لأنه عُيِّن خوريا فى « بروى »، وكان موت خالى وخالتى بعد ذلك، مات خالى أولا، وكان يكن لك حبا كبيرا، وفى يوم الأحد التالى ماتت خالتى بعد أن مرضت ثلاثة أيام، لم تكن أُمى موجودة، وكنت وحدى مع « لولى » و « ديلفين » زوجة جراسيان، وهى تحبنى كثيرا، ولقد كان أمرا يبعث على الحزن والأسى لأن خالتى لم تكن تريد أن تفارقنى، ولكن لم يكن هناك مفر من ذلك، وأنا الآن أنام فى حجرتى بجوار « ديلفين » لأن « لولى » تركتني إلى أخ لها استدعاها فى « الأورن » وجراسيان أيضا لطيف معى للغاية، ولقد علمنى طريقة الغسل<sup>(١)</sup> وتلقيح الأشجار وهو شئ يسلىنى، ثم أننى أساعد فى تحطيم الأشجار .

(١) نقل الشتلة من الحوض إلى الأرض الدائمة ( المترجم ) .



أنت تذكر الورقة التي كتبت لى فيها تعهدك، عليك بنسيانها، فلن يكون هنا أحد لاستقبالك، إلا أنه يحزننى كثيرا ألا أراك مرة أخرى، لأننى أحبتك حبا صادقا . ولن أنساك .

صديقك الصغير كازيمير

لم أكتسرت كثيرا لوفاة السيد فلوش وزوجه، لكن هذه الرسالة الساذجة حركت مشاعرى، وكنت فى ذلك الوقت مشغولا، إلا أننى أخذت على نفسى عهدا بأن أخرج فى جولة استكشافية حتى الكارفورش، ما أن تبدأ إجازة عيد الفصح . ماذا يهمنى فى ألا يكون هناك من يستقبلنى ؟ لسوف أنزل فى «البون - ليفيك» واستأجر عربة . هل هناك حاجة إلى أن أضيف بأن احتمال لقاء «إيزابيل» الغامضة كان يجذبنى إليها بقدر شفقتى على الغلام ؟ كانت بعض فقرات الرسالة غامضة بالنسبة لى، ووجدت مشقة فى ربط الحوادث : مرض العجوز، ووصول إيزابيل إلى الكارفورش، ورحيل القس، ووفاة العجوزين التى لم تحضرها ابنة الأخت، وسفر الأنسة «فيردور» . . . أينبغى ألا نرى فى ذلك كله سوى سلسلة من الأحداث العرضية، أم كان ينبغى أن أبحث عن صلة تربط بينها ؟ لو حاولت، فلا كازيمير سيفيدنى، ولا القس سيخبرنى .

فاضطرت للانتظار حتى شهر أبريل، وما أن كان اليوم الثانى من إجازتى، حتى سافرت .

وعلى محطة «بروى» لمحت القس «سانتال» يتهيا ليستقل قطارى، فناديتة، فأجابنى قائلا :

- ها أنت قد عدت إلى البلدة مرة أخرى .
- لم أكن أتصور فعلا أنني سأعود إليها بهذه السرعة .
- وصعدت إلى ديوانى، وكنا فيه وحدنا .
- إيه ! لقد حدثت أمور جديدة بعد زيارتك .
- نعم، لقد علمت أنك عيّنت خوريا فى « بروى » .
- دعك من هذا .
- ومد يده فى حركة فهمتها، وقال :
- هل وصلك إشعار ؟
- نعم، وفى الحال بعث بعزائى إلى تلميذك، فهو الذى أخبرنى، ولكنه لم يخبرنى إلا بالنزر القليل .
- ولقد هممت أن أكتب لك لأسألك بعض التفاصيل .
- كان يجب أن تفعل ذلك .
- فأضفت ضاحكا :
- لقد تصورت أنك قد لا ترحب باطلاعى على شىء .
- ولكنه كان يبدو أقل تكتما مما كان أيام الكارفورش، وبدا عليه الاستعداد للكلام :
- هل تصدق أن كل ما يجرى هناك الآن يبعث على الأسى والحزن ؟ إن جميع الممرات سوف تمر بنفس المحنة .

ولكننى لم أدرك قصده من أول وهله، إلا أننى تذكرت عبارة  
"كازيمير" عندما قال لى : إننى أعاون فى تحطيم الأشجار .. فسألته  
فى سداجة :

- ولماذا يفعلون ذلك ؟

- لماذا ؟ آه ياسيدى الطيب . إذن سل عن ذلك الداءين، ثم رن  
الأمر لا يعنيه، بل إن كل شئ يجرى بلا علمهم، إن الضيعة غارقة  
فى الديون والأنسة سانت أوريول تسلب ما وسعها سلبه .

- وهل هى هناك ؟

- كأنك لا تدري !

- لقد اتتجت ذلك فقط من بعض عبارات من ...

- لقد ساءت الأمور منذ وصلت هى .

وصمت لحظة، ولكن لم يستطع أن يقاوم حاجته إلى الكلام فى  
هذه المرة، بل نه لم يعد يستمع إلى أسئلتي . ووجدت أن، من  
الأفضل ألا أوجه إليه سؤالاً : فاستطرد يقول :

- كيف علمت هى بشلل والدتها ؟ هذا ما لم أستطع له تفسيراً .  
عندما علمت أن البارونة العجوز لم تعد تستطيع أن تفارق كرسيتها،  
حضرت بمناعها، ولم تجرؤ مدام فلوش على طردها، وعندئذ رحلت  
أنا .

- من المؤسف أنك تخلت عن « كازيمير » بهذه الطريقة .

- هذا جائز، ولكن مكاني ليس إلى جوار هذه المخلوقة ... لقد فاتني أنك كنت تدافع عنها .
- وقد أدافع عنها أيضا لو كان ثمة مجال لذلك، يا سيدى الخورى .
- كما تحب . نعم، نعم، فالآنسة فيردور أيضا كانت تدافع عنها، ولقد ظلت تدافع عنها حتى رأت سيديها على فراش الموت .
- ورأيت أن القس قد تخلى تقريبا عن ذلك التائب في اللفظ الذى كان يتوخاه فى الكارفورش، فقد أصبح يستخدم من الإيماءات والألفاظ ما يميز خوريا فى قرية نورماندية، واستأنف حديثه قائلا :
- وهى أيضا وجدت أن من الغريب أن يموت الاثنان فى وقت واحد .
- هل . . ؟
- أنا لا أزعج شيئا .
- ونفخ شفته العليا كمادته القديمة، ولكنه عاد يقول :
- لا يمنع أنهم فى البلدة بدءوا يتندرون، وسؤوهم أن ترث الفتاة خالتها، وقد رأيت بنفسك أن الآنسة فيردور قد آثرت الرحيل .
- ومن بقى إلى جوار كازيمير .
- آه ! لقد أدركت مع كل أن أمه لا تصلح له معشرا حسنا ! إنه يقى كل وقته عند آل « شوانتروى » أقصد البستانى وزوجه .
- « جراسيان » ؟

- أجل . « جراسيان »، الذى عارض فى تحطيم أشجار الحديقة، إلا أنه لم يستطع أن يمتنع شيئا . إنها المأساة .
- ومع كل، فلم يكن آل فلوش معدمين .
- ولكن كل شئ سلب منذ أول يوم، ياسيدى العزيز . لقد كانت مدام فلوش تمتلك مزرعتين من المزارع الثلاث التى تتألف منها الكارفورش فبيعت هاتان المزرعتان منذ زمن بعيد للمزارعين، أما المزرعة الثالثة فهى أيضا من أملاك البارونة، ولكنها لم تعد تؤجرها للفلاحين، فقد كان « جراسيان » يشرف على محصولها، ولكنها سرعان ما ستعرض للبيع مع الباقي .
- الكارفورش ستعرض للبيع ؟
- بالمزاد، ولكن هذا لن يتم قبل نهاية الصيف، وصدقتى أن الآنسة تستفيد من هذا الوضع حتى يحين البيع، وستبذل فى سبيل ذلك قصارى وسعها، فعندما يتم نزع نصف الأشجار .
- وكيف يتقدم أحد لشرائها منها، وهى لا تملك حق بيعها ؟
- آه ! إنك لا تزال شابا حدث السن . عندما تعرض السلعة بضمن زهيد، فإنها دائما تجد من يشتريها .
- إن أقل محضر يمكن أن يحول دون ذلك .
- إن المحضر متفاهم مع مدير أعمال الدائنين الذى أقام فى الكارفورش .

- وما لى أذننى : وما دمت تريد أن تعلم كل شئ فاعلم أنه ينام معها . فسأله، دون أن أظهر تأثراً لعبارة الأخيرة :
- وكتب السيد فلواش وأوراقه ؟
- سيعرض أثاث القصر مع المكتبة للبيع قريباً، أو بمعنى أصح، سيوقع عليها الحجز، ولحسن الحظ فإن أحداً لا يدرك قيمة بعض المؤلفات والا لاختفت منذ زمن بعيد .
- قد يظهر أفاق على حين فجأة .
- لقد وضعت الاختتام الآن، فلا تخش شيئاً، فلن تُرفع إلا عند الجرد .
- وما قول البارونة فى هذا كله ؟
- إنها لا تدرك شيئاً، فهم يقدمون لها الطعام فى حجرتها، وهى لا تعرف حتى أن ابنتها موجودة فى القصر .
- وماذا عن البارون ؟
- لقد مات منذ ثلاث أسابيع، فى « كايين » فى ملجأ كنا قد وفقنا فى أن يقبل فيه .
- كنا قد بلغنا « بون ليفيك »، فأقبل كاهن للقاء القس « سانتال » الذى استأذن منى بعد أن دلى على فندق ورجل يؤجر العربات .
- وأوصلتنى العربة التى استأجرتها فى اليوم التالى حتى مدخل حديقة الكارفورش، واتفقت مع صاحب العربة على أن يرجع بعد

ساعتين ليعود بي . بعد أن تكون الجياد قد استراحت في حظيرة إحدى المزارع .

والقيت باب الحديقة مفتوحا على سعته، وكانت أرض الممر قد تلفت بفعل عربات النقل، وتوقعت أن أشاهد أبشع مظهر للدمار والتخريب، ففوجئت، وكانت مفاجأة سارة، إذ شاهدت عند المدخل « شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » وقد نبئت براعكها، ولم أفكر أنها لا تدين بحياتها إلا لحقارة خشابها، وبينما كنت أتقدم، وجدت أن الفأس قد أتت على أجمل الأشجار، وقبل أن أخوض في جوانب الحديقة، أردت أن أزور الدار الصغيرة التي اكتشفت فيها رسالة إيزابيل، ولكنني وجدت مكان مزاجها المحطم قفلا مغلقا . ( وعلمت فيما بعد أن الخطابين يكسدسون في هذه الدار أدواتهم وملابسهم ) ومضيت في طريق متجها إلى القصر، وكان الطريق الذي أسلكه مستقيما تحف به أشجار العوسج المنخفضة، ولم يكد يودى إلى وجهه القصر، وإنما كان يفضى إلى جناح المرافق وينتهى إلى المطبخ الذي كان يطل على باب بستان الخضراوات، وكنت لم أزل بعد بعيدا عن ذلك الباب عندما شاهدت جراسيان يخرج منه حاملا سلة من الخضراوات، فلمحنى، ولكنه لم يتعرف على من أول وهلة، فناديته فأقبل نحوى وبادرني قائلا :

- آه ! السيد لاكاز ! حقا ما كان أحد يتوقع أن يراك في مثل هذه الساعة . وليث يتطلع إلى وهو يهز رأسه، لم يخف ضيقه من حضوري، إلا أنه أضاف في لهجة أكثر رقة .

- ومع كل فسيّر الغلام لرؤيتك .

كنا قد سررنا بضع خطوات نحو المطبخ دون كلام، فأشار لى بأن  
انتظره، ودخل ليضع سلته، ثم عاد وقال فى لهجة أكثر حفاوة :

- جت إذن لثرى سير الأمور فى الكارفورش .

- ويبدو أنها ليست على خير ما يرام ؟

ونظرت إليه فإذا بذقنه يرتجف - وليث ممسكا عن الإجابة، وعلى  
حين فجأة جذبنى من ذراعى واقتادنى إلى العشب الذى كان يمتد أمام  
درج حجرة الاستقبال، حيث كانت ترقد جثة شجرة زان ضخمة أذكر  
أننى احتسيت تحتها من المطر فى الحريف، وكان من حولها أكداش  
وحزم من أغصانها كانت قد نرعت عنها قبل اقتلاعها . فقال لى :

- هل تعلم كم تساوى شجرة كهذه ؟ اثنتى عشرة بستولة <sup>(١)</sup> وهل  
تعلم بكم بيعت ؟ لقد بيعت هى وأمثالها بمائة « سو » .

لم أكن أعلم أنهم فى تلك البلدة يطلقون لفظة بستولة على قطعة  
النقود فئة العشرة فرنكات، ولكن لم يكن ذلك وقت الاستفسار  
والاستيضاح . كان جراسيان يتكلم بصوت مخنوق، والتفت إليه فإذا  
به يمرر ظهر يده على وجهه فيمسح دموعا أو عرقا، ثم ضم قبضتيه  
وقال :

(١) البستولة تساوى مائتى « سو » .



-أوه ! يا للصوص ! يا للصوص .. عندما أسمعهم يضربون بسواطيرهم وفؤوسهم أشعر بالجنون، إن ضرباتهم تنهال فوق أو رأسي، فأشعر بالرغبة في أن أصبح : النجدة ! اللص ! إننى أشعر بالرغبة في القتل، وأول أمس أمضيت نصف النهار داخل القبو، فكان الصوت يصلنى ضعيفا .. وفى بادئ الأمر، وجد الغلام فى عمل الخطابين شيئا من اللهو والتسلية، وعندما كانت الشجرة تشرف على السقوط، كانوا يتنادونه ليشد الحبل معهم، ولكن عندما اقترب هؤلاء الأفاقون من القصر وهم يواصلون اقتلاع الأشجار، بدأ الطفل يشعر بأن الأمر لم يعد مدعاة للتسلية، وإذا به يخاطبهم قائلا : « آه ! دعوا تلك » فقلت له : يا صغيرى المسكين، حتى لو تركوها فلن تكون لك هى أو غيرها « بل لقد أخبرته بأنه لن يستطيع البقاء فى الكارفورش، ولكنه صغير لا يفهم أنهم سلبوه كل شئ. لو أبقونا فى المزرعة لما توانيت عن أخذه معنا هناك، ولكن أحدا لا يدرى من سيشتريها، ومن سيكون الوغد الذى سيحتل مكاننا فيها .. وكما ترى يا سيدى فأنا بعد لست عجوزا، ولكنى كنت أفضل أن أموت قبل أن أرى هذا كله .

- من يقيم فى القصر الآن ؟

إننى لا أريد أن أعرف ذلك . إن الصغير يتناول طعامه معنا فى المطبخ، فهذا خير له .

والبارونة لم تعد تفارق حجرتها، وهذا لحسن حظها المسكينة « وديلفين » هى التى تحمل إليها وجباتها عن طريق سلم الخدم حتى

تسجن مقابلة من لا تحب ، أما الآخرون فلديهم من يقوم على خدمتهم ونحن لا نتحدث معهم .

- أليس من المفروض أن يوقع حجز على الأثاث فى القريب ؟

- عندئذ سنحاول أن نصطحب سيدتى البارونة إلى المزرعة، فى انتظار أن تعرض للبيع مع القصر .

فسألته مترددا لأنتى لم أكن أدرى كيف أدعوها :

- والآسة . . وابنتها ؟

- بوسعها أن تذهب حيث شاءت، بعيدا عنا . إن كل ما يحدث إنما هو بسببها .

كان صوته يرتجف من شدة الغضب بحيث أدركت عندئذ كيف أن هذا الرجل استطاع أن يذهب إلى حد ارتكاب الجريمة للذود عن شرف سادته .

- أهى الان فى القصر ؟

- فى مثل هذه الساعة، لابدّ وأنها تبتزه فى الحديقة، ويبدو أن ما يحدث لا يسوؤها، فهى تتطلع إلى الخطابين، بل وفى بعض الأيام تتحدث معهم، بلا حياء ولكن عندما تمطر السماء فإنها لا تفارق حجرتها . انظر، ها هى حجرتها، تلك التى تمثل الزاوية . إنها تقف لصق زجاج النافذة وتتطلع إلى الحديقة . لو لم يكن رجلها فى «ليزو» منذ ريع ساعة، لما وجدتني فى الخارج ! آه ! هذه هى المدنية

يا سيد لاكاز . لو قدر لسادتي المساكين أن يعودوا لبروا ما يحدث في  
عقر دارهم، لأسرعوا بالعودة إلى مثناهم .

- وهل كازيمير هنا ؟

- أظن أنه يتنزه أيضا في الحديقة . هل تريد أن أستدعيه ؟

- كلا، سأعرف كيف أعثر عليه بنفسى . إلى اللقاء قريبا .  
سأعود لرؤيتك طبعاً أنت « وديلفين » قبل أن أرحل .

كان الدمار الذى أحدثه الخطابون يبدو فى أبشع صورة فى ذلك  
الوقت من العام، حيث يتهيا كل شىء يبعث من جديد، وفى ذلك  
الجو الفاتر، كانت أفنان الأشجار تمتلئ وتنفتح وتنبث فيها البراعم،  
وكان كل غصن فصل عن شجرته يبكى عصارتة . كنت أنقدم فى  
خطى وثيدة وأنا مكتئب من نفسى، وكان يزيد من اكتئابى ما كان  
يبعثه المنظر حولى من ألم، وربما كنت ثملا من شدة الريح النباتى  
الذى كان يخرج من الشجر المحتضر، وبطن الأرض وهى تعمل،  
وكان ما يمثله ذلك التعارض بين تلك الأشلاء من الموتى وبين الربيع  
الوليد لا يكاد يؤثر فى نفسى، وهكذا تكشف الحديقة وفتحت  
ذراعيها للنور الذى بدا يغمرها ويصبغ ما فيها من موت وحياة بلونه  
الذهبى، ومع ذلك فقد كانت دقات قلبى السعيدة تصاحب النغمات  
الحزينة التى كانت تأتيني من بعيد صادرة عن الفؤوس التى كان صداها  
الجنائزى يملأ الأرجاء، وكانت الرسالة القديمة التى حملتها معى والتى  
آليت على نفسى ألا أستفيد منها، مع أننى فى بعض الأحيان كنت  
أضمها إلى قلبى، كانت هذه الرسالة تلهب قلبى وتضرم فيه النار، وكنت

أحدث نفسى قائلا : لا شئ يستطيع أن يعترض اليوم سبيلي،  
وابتسمت عندما شعرت أننى أسرع الخطى لمجرد التفكير فى « إيزابيل  
»، ولم أكن فى ذلك مدفوعا بإرادتى، وإنما كانت هناك قوة داخلية  
تدفعنى إلى ذلك .

وعجبت أن ما فى الدمار من وحشية قد زاد بهاء الطبيعة فى عيني ،  
وعجبت كيف أن اغتياب القس أو ذمة لإيزابيل لم ينجح فى عزلى  
عنها ، وأن كل ما كنت أكتشفه فيها يلهب شوقى إليها .. وماذا  
يا ترى لا يزال يربطها بهذه الأماكن التى تفيض « ذكريات » بغضه ؟  
كنت أعرف أنه ما من شئ سيبقى لها من الكارفورش عندما تباع  
ولن يبلغها منها عائد، فلماذا لم تلذ بالفرار ؟ وصور لى خيالى أن  
أقوم باختطافها ذلك المساء فى عربتى، فأسرعت خطاى، بل لقد كنت  
أجرى تقريبا عندما فوجئت بها على بعد مسافة منى . كانت هى،  
بلا ريب، فى ثياب الحداد عارية الرأس، جالسة فوق جذع شجرة  
محطمة تعترض الممر، فدد قلبى شديدا بحيث اضطرت إلى التوقف  
بعض الوقت، ثم تقدمت فى اتجاهها ببطء الخطو، هادئا كمتنزه  
لا يعبا لشيء ، وما أن بلغت حتى سألتها :

- معذرة ياسيدتى .. أنا الآن فى الكارفورش، أليس كذلك ؟

- كان يوجد إلى جوارها فوق جذع الشجرة سلة لشغل الإبرة  
ملينة ببكرات الخيط وأدوات الحياكة، وقطع من القماش الكريب  
ملفوفة على بعضها أو منكوشة، وكانت منصرفة إلى تثبيت أجزاء من  
هذا القماش فوق غطاء متواضع للرأس مصنوع من اللباد كانت تمسكه

بيدها، ورأيت على الررض شريطا أخضر يبدو أنها نزعته عن غطاء الرأس منذ قليل، وكانت تتدثر بمعطف صغير أسود يغطي كتفيها، وعندما رفعت هامتها أبصرت الإبريم المبتدل الذى كانت تغلق به ياقة المعطف - ولا أشك فى أنها قد لمحتنى من بعيد، لأن صوتى لم يفاجئها .

- هل جئت تشتري الضيعة ؟

قالتها بصوتها الذى تعرفت عليه، فدق له قلبى .

كم كان جبينها المكشوف جميلا !

- أوه ! بل جئت مجرد زائر . كانت الأبواب الحديدية مفتوحة ورأيت أناسا يجولون ولكننى قد أكون متطفلا إذ دخلت ؟

- كل من يريد الدخول، يستطيع أن يدخل الآن .

وأطلقت زفرة عميقة، لكنها عادت إلى عملها، كأنما لم يعد بيننا ما يقال .

ولما لم أكن أدري كيف أواصل حديثا قد يكون الوحيد بينى وبينها، فكان يجب أن يكون قاطعا باتا، حديثا بدا لى أن الوقت لم يحن بعد للخوض فيه، فقد كنت أنوى أن أحتاط له قبل طرقة، ولما كان عقلى وعاطفتى قد فاضا بالانتظار والأسئلة التى كنت لا أجرؤ بعد توجيهها، عندئذ مكثت أمامها، أدفع بطرف عصاى شظايا الخشب وأنا مرتبك بين قححة شديدة وسذاجة مفرطة، فى نفس الوقت، حتى أنها رفعت بصرها وتفرست فى وجهى فظننت أنها

ستنفجر ضاحكة، إلا أنها قالت لى بكل بساطة، وربما لأننى كنت ألبس قبعة رخيصة أعطى بها شعري الطويل، ولم يكن يبدو أن ثمة عملا فعليا يستعجلنى.

- هل أنت فنان؟

فأجبت مبتسما.

- للأسف، كلا! ولكننى رغم ذلك أذوق الشعر.

ودون أن أجرؤ على التطلع إليها، شعرت أن نظرتها تطوقنى، وأن ما دار بيننا من حديث منافق مبتذل بغىض إلى نفسى، وأنى أتألم إذ أنقله، لقد استأنفت حديثى قائلا:

- كم هى جميلة هذه الحديقة!

ولاح لى أنها لا تريد إلا أن تتحدث، ولم يكن يحيرها مثلى، إلا كيف الخوض فى المناقشة، فقد صرحت بأننى لا أستطيع الآن للأسف أن أتصور ما يمكن أن تصبح عليه الحديقة فى فصل الخريف، فهى لا تزال بمنأى عن الشتاء وبرده، كذلك لا أستطيع أن أتنبأ بما سيتبقى منها بعد هذا العمل الرهيب الذى ينزله بها الحصابون، فصحت قائلا:

- ألا يمكن منعهم؟

فردت ساخرة وهى ترفع كتفها عاليا:

- منعهم!

وظننت أنها ترينى قبعتها البائسة من اللباد كشاهد على رقة حالها،  
إلا أنها رفعتها لتضعها فوق رأسها مطروحة إلى الوراء كاشفة عن  
جبينها، ثم شرعت فى ترتيب قطع القماش الكريب كأنما تنهيا  
للإنصراف، فانحنيت عند قدميها والتقطت الشريط الأخضر  
وقدمته لها.

فقال دون أن تأخذه:

- ماذا أصنع به الآن؟ إنك ترى أننى فى ثياب الحداد.  
وعلى الفور، عبرت لها عن الحزن الذى شعرت به عندما علمت  
ب وفاة السيد فلوش وزوجه و وفاة البارون بعد ذلك، ولما أبدت دهشتها  
لمعرفتى أهلها، أخبرتها أننى عشت بينهم اثنى عشر يوما من شهر  
أكتوبر الماضى.

فعلقت فى الحال قائلة:

- فلماذا زعمت منذ قليل أنك لا تعرف أين أنت؟  
- لم أكن أدري كيف أبدأ الحديث معك.  
ودون أن أسرف فى الكشف لها عما فى نفسى، شرعت أحدثها  
عن الفضول الشديد الذى استبقانى فى الكارفورش يوما بعد يوم، أملا  
فى لقائها (لأننى لم أحدثها عن تلك الليلة التى تطلعت عليها فيها)  
ثم حدثتها عن أسفى لعودتى إلى باريس دون أن أراها:  
- وما مبعث كل هذه الرغبة فى معرفتى؟

ولم تعد تنظاها بالانصراف، وكنت قد جذبت حزمة ضخمة من الخشب وضعتها أمامها قريبا منها، وجلست عليها، ولما كان وضعى منخفضا عنها، كنت أرفع بصرى لأراها، وكانت هى منصرفة بطريقة صبيانية إلى لف شرائط الكريب فلم أعد أحظى بنظرها، وحدثتها عن صورتها وأبدت قلقى لما يمكن أن تصير إليه هذه الصورة التى كنت بها مغرما، ولكنها لم تدر من أمر ذلك شيئا، وأضافت وهى تطلق ضحكة تألت لجفافها :

- ربما يعثرون عليها عندما يرفعون الأختام. . ثم تعرض للبيع مع غيرها، وتستطيع أن تحصل عليها نظير بضعة نقود، إذا كان قلبك لا يزال متعلقا بها. وأعربت لها عن أسفى إذ أراها لا تأخذ شعورى نحوها مأخذ الجد، وأوضح لها أننى إذا كنت قد فاجأتها بالتعبير عنه، فإنه يشغل بالى منذ أمد طويل. إلا أنها ظلت جامدة كأنما قررت ألا تسمع بعد ذلك شيئا منى. كان الوقت يمضى سريعا ألم يكن معى ما أقطع به صمتها ؟ كانت الرسالة الملتهبة تنتفض بين أصابعى.

وكنت قد أعددت قصة اختلقتها عن علاقات قديمة بين عائلتى وعائلة "جونفريسل" هادفا من وراء ذلك إلى حملها على الكلام فى معرض الحديث، ولكننى فى تلك اللحظة لم أشعر إلا بسخافة هذه الكذبة، وشرعت أروى لها قصة المصادفة الغريبة التى أوقعت هذه الرسالة فى يدى، وناولتها الرسالة قائلا:

- آه! أتوسل إليك ياسيدتى، لا تمزقى هذه الرسالة! رديها إلى ..



كان وجهها قد شحب شحوب الأموات، ولبثت لحظة دون أن تقرأ الرسالة المفتوحة فوق ركبتيها، وغامت نظرتها، ورجفت أهدابها، وإذا بها تهمهم قائلة:

- نسيت أن أستردها! كيف نسيتهما؟

- ربما ظننت أنها وصلته، أو أنه حضر لأخذها..

كانت لا تزال منصرفة عني لا تعيرني سمعا، وأتيت حركة لاسترداد الرسالة، ولكنها أساءت تفسير حركتي، فصاحت بي قائلة وهي تدفع يدي في خشونة.

- دعني!

ونفضت تريد الفرار، فجتوت أمامها أستبقها:

- لا تخافى منى ياسيدي، فإننى، كما تريدن، لا أريد بك سوء، وعندما عادت إلى الجلوس أو بالأحرى عندما انهارت خائفة القوى، توسلت إليها ألا تسخط على أن كانت المصادفة قد اختارتنى لآكون أمينا لمرها على الرغم منى، ولكننى توسلت إليها أن تبقى على هذه الثقة التى أقسمت ألا أخونها ما حييت. آه! لماذا لا تحدثنى كصديق حميم لا يعرف من أمرها إلا ما أطلعتنى عليه بنفسها؟ وربما قنعتها عبراتى التى ذرفت بها أكثر مما أقنعتها حديثى. وعدت أقول: وا أسفاه! إننى أعلم الميتة الفظيعة التى سلبتك حبيبك فى تلك الليلة.. ولكن كيف بلغك هذا الخبر المشنوم؟ وماذا صور لك خيالك فى تلك الليلة وأنت عاكفة على انتظاره، مستعدة للفرار معه؟ وماذا صنعت عندما

وجدت أنه لا يظهر؟

فقلت في صوت حزين:

- مادمتم تحيط علما بكل شيء، فأنت تعرف طبعاً أنني لم أكن أنتظره، بعد أن أخبرت جراسيان.

وفجأة تجلت الحقيقة في أبشع صورها، بحيث لم أستطع أن أمسك نفسي عن الصياح:

- ماذا؟ أنت التي أوعزت بقتله؟

عندئذ هوت منها الرسالة والسلة على الأرض، وتناثر ما كان فيها من أشياء وأخذت جبينها بين يديها، وشرعت تجهش بالبكاء في غير وعي، فملت عليها وحاولت أن أتناول إحدى يديها بين يدي فصعدتني قائلة:

- كلا، أنت جاحد قاس.

كانت صيحتي الهوجاء قد أتت على اطمئنانها من ناحيتي، فقطبت جبينها وعيست في وجهي، وكنت لا أزال جالسا أمامها وقد عقدت العزم على ألا أفارقها قبل أن تصرح لي بأكثر مما عرفت، وأخيراً هدأ نسيجها، فأقنعتها في هدوء أنها أفاضت في الكلام بحيث لا تتطيع أن تمسك عنه دون إيداء، وأنها لو أفضت لي باعتراف صادق، فلن يقلل ذلك من شأنها في نظري، وأنه لا يحز في نفسي أكثر من لزومها الصمت، فأسندت مرفقيها على ركبتيها، وحجبت جبينها بيديها المشبوكتين، وقصت على الآتي:

كانت قد كتبت هذه الرسالة فى الليلة السابقة لليلة التى قررت فيها الهروب، كتبتها فى غمار لوعة الغرام التى تملكها تلك الليلة، وفى الصباح حملتها إلى الدار ودستها فى ذلك المكان السرى الذى كان يعرفه "بليز جونفرييل" وكانت تعلم أنه سرعان ما سيأتى لاختذها، ولكنها ما أن عادت إلى القصر، ووجدت نفسها فى تلك الحجرة التى كانت تريد أن تغادرها إلى الأبد، تملكها ضيق يرقى عن الوصف، وخوف من تلك الحرية المجهولة التى طالما تلهفت عليها، والخوف من ذلك العاشق الذى كانت لا تزال تتوق إليه، والخوف من نفسها وما كانت تخشى الإقدام عليه. أجل، كانت قد اتخذت قرارها، أجل وصرفت عنها كل ريبة أو شك، وارتضت أن تجر العار، ولكنها ما أن وجدت أنه ليس هناك ما يقيدنها ويحول بينها وبين الباب المفتوح للفرار، ضعفت ولم يطاوعها قلبها، وباتت فكرة الفرار بغیضة إلى نفسها لا تطيقها، فأسرعت وأبلغت "جراسيان" أن البارون "جونفرييل" قد عقد العزم على اختطافها من أهلها هذه الليلة نفسها، وأنه قد يعثر عليه وهو يحوم قبل المساء على مقربة من الدار، فيجب منعه من الاقتراب، فعجبت لأنها لم تذهب لتحضر بنفسها الرسالة وتستبدلها بغيرها تصد بها عشيقها عن مشروعه الجنونى، ولكنها كانت لا تفتأ تنهز من أسئلتي، وجعلت تردد وهى تبكى أنها تعلم تماماً أننى لا يمكن أن أفهمها وأنها لا تستطيع أن تفسر خيراً من ذلك، ولكنها فى ذلك الوقت كانت تشعر أنها عاجزة عن صد عشيقها عاجزة عن اللحاق به، فقد كان الخوف قد شل حركتها بحيث أصبح رجوعها إلى الدار أمراً فوق طاقتها، أضف إلى ذلك، أنها فى

تلك الساعة من النهار، كان أبواها الرهيبان يراقبانها، ولهذا فإنها اضطرت للجوء إلى « جراسيان » .

- أكان بوسعى أن أقدر أن « جراسيان » سيأخذ مأخذ الجدد ذلك الكلام الذى فلت منى فى غمرة هذيانى ؟ لقد تصورت أنه سيكتفى بإبعاده، ولقد انتفضت فزعا عندما سمعت بعد ساعة طلقا ناريا قرب الباب الحديدى، إلا أن تفكيرى تحول عن الاحتمال الرهيب الذى لم أقبل أن أتصوره، بل على العكس، فبعد أن أخبرت « جراسيان » هذا فكرى وقلبى وأصبحت أشعر بالابتهاج . . ولكن عندما حل الليل، واقتربت الساعة التى كان من المفروض أن تكون موعدا لفرارى، آه ! وجدتني أنتظر على الرغم منى، وبدأ الأمل يداعبني، ويمتزج بياسى نوع من الاطمئنان، الاطمئنان الذى كنت أعلم تماما أنه كاذب . لم أكن أستطيع أن أتصور أن حين لحظة أو انهيار ساعة يمكن أن يقضى دفعة واحدة على حلمى الطويل، فلم أكن بعد قد أفقت من حلمى، وإذا بى، وكأننى فى حلم، أنزل إلى الحديقة أرصد كل صوت، وأترصد كل شبح، فقد كنت لا أزال أنتظر .

وشرعت تبكى من جديد، ثم استطردت تقول :

- كلا لم أعد أنتظر، بل كنت أحاول خداع نفسى، فكنت أتشبه بمن تنتظر شفقة بنفسى . كنت قد جلست أمام الخضرة، فوق أسفل درجات الشرفة، وقد يبس القلب بحيث لم أكن أقوى على ذرف دموعه، ووجدتني أفكر فى شيء، بل لا أدري حتى من أكون، ولا أين كنت، ولا ما جئت من أجله، وغاب القمر الذى كان منذ قليل يغمر

بنوره، فانتابتنى رعدة، فتمنيت أن تكون رعدة الموت . طلع النهار،  
فلذا بى فريسة مرض خطير، واستدعى الطبيب كاشف أمى  
بأمر حملى .

وتوقفت لحظات، ثم عادت تقول :

- لقد عرفت الآن ما كنت ترغب فى معرفته، ولو أتممت قصتى  
فستجدها قصة امرأة أخرى غير « إيزابيل » التى طالعتها فى الصورة .

وبالفعل، فقد أصبح من العسير على أن أتعرف فيها على تلك  
الإنسانة التى سلبت خيالى . صحيح أنها كانت تقطع حديثها من آن  
لأن بالأتين والشكوى حاملة على القدر، وكانت تشكو من أن الشعر  
والعاطفة دائما على خطأ فى هذا العالم، إلا إننى كنت أشعر بالأسف  
لأننى لم أثبت فى صوتها الحزين تلك الحرارة اللطيفة التى تصدر عن  
القلب . لا أسف إلا عليها ! عجباً ! أو هكذا تصورت الحب ؟

وإذا بى ألنقط الأشياء التى تناثرت من السلة المقلبة فوق الأرض،  
ولم أعد أشعر برغبة فى زيادة الاستفسار، ووجدتنى فجأة لا أكثرث  
بشخصيتها ولا بحياتها، ومكنت أمامها أشبه بسلام أمام لعبة حطمها  
ليكشف عن سرها، بل إن الفتنة الجسدية التى كانت لا تزال تتمتع  
بها، لم تحرك منى ساكننا، ولا خفق أهدابها المثير الذى كنت منذ قليل  
أنتفض له أهاجنى . كنا نتحدث عن رقة حالها وعوزها، فسألناها عما  
تنوى عمله فأجابت :

- سأسعى إلى إعطاء دروس خصوصية فى العزف، أو الغناء،  
فلدى طريقة عظيمة .

- آه ! أنت تغنين ؟

- أجل، وأعزف . لقد درست كثيرا فيما مضى، وكنت تلميذة  
« لتالبيرج » وكذلك فإنى أحب الشعر كثيرا .

ولما لم أجد ما أقوله لها، أضافت تقول :

- إننى على ثقة من أنك تحفظ بعض الشعر عن ظهر قلب ! ألا  
تحب أن تسمعنى شيئا منه ؟

إلا أن النفور، والاشمئزاز من هذا الابتذال الشعرى كان قد أنجز  
على طرد كل أثر للحب من نفسى، فنهضت لاستأذنها فى الانصراف  
فقالت :

- عجبا ! أنتصرف بهذه السرعة ؟

- للأسف ! إنك مثلى تشعرين أن من الأفضل الآن أن أنصرف .  
تصورى أننى ذات يوم من أيام الخريف الماضى، كنت بين قومك ،  
وإذا بحرارة الجو فى الكارفورش تجعلنى أستسلم للنوم وأرى فى منامى  
حلما لم أستيقظ منه إلا منذ لحظة ، فوداعا .

وظهر عند طرف الممر المنعطف شىء صغير يعرج .

- أظن أنى ألمح « كازيمير » الذى يسير للقائى .

- إنه قادم، فانتظر .

كان الغلام يقترب فى وثبات قصيرة، وكان يحمل فوق كتفه  
مجرافا .

- اسمحى لى أن أذهب للقائه، فقد يخرج إن لقينى معك .  
معذرة ..

وعجلت بوداعى بطريقة خرقاء، فحيثها فى أدب وانصرفت .  
ولم أر إيزابيل سانت أوريول بعد ذلك، ولم أعلم عنها شيئاً .  
بلى، فعندما عدت إلى الكارفورش فى الحريف التالى، أخبرنى «  
جراسيان » بأنها هربت مع حوذى، وذلك عشية الحجز على أثاث  
القصر، وبعد أن هجرها مدير الأعمال .

- ثم أضاف كمن يلقي حكمة :

- وكما ترى ياسيدى « لاكاز »، لم تستطع أن تبقى وحدها، كان  
لابد لها دائما من عاشق .

وبيعت مكتبة الكارفورش فى منتصف الصيف، وعلى الرغم من  
التعليمات للإشراف أوصيت بها، لم أعلم بذلك، واعتقد أن صاحب  
مكتبة « كان » الذى ندب للإشراف على عملية البيع، لم يهتم  
بدعوتى كما لم يهتم بدعوة أى من هواة الكتب الجادين، وكم كان  
اندهاشى وسخطى عندما علمت فيما بعد أن نسخة التوراة الشهيرة قد  
بيعت بسبعين فرنكا لبائع كتب قديمة فى البلدة، ثم سرعان ما باعها  
هذا بثلاثمائة فرنك، ولم أعرف المشتري الجديد .

أما عن مخطوطات القرن السابع عشر، فلم يأت ذكرها حتى فى  
كشف المبيعات، واعتبرت أوراقا قديمة .

كنت أريد على الأقل أن أحضر عملية بيع الأثاث، فقد كنت أنوى أن أشتري بعض الأشياء الصغيرة لتكون ذكرى لآل فلوش، ولكنني أخطرت بعد فوات الوقت، فلم أتمكن من الوصول إلى « بون ليفيك » إلا عندما عرضت المزارع والضيعة للبيع .

وحصل على الكارفورش، مقابل ثمن بخس، تاجر عقارات يدعى « موزرشميدت » الذي كان ينوى تحويل الحديقة إلى مرعى عندما اشتراها منه أحد الهواة الأمريكيين، ولم أدر سبب شرائه لها، لأنه لم يعد إلى البلدة وترك القصر والحديقة على الحل التي رأيتماها .

ولما كنت عندئذ قليل الثروة، تصورت أنني لن أحضر عملية البيع إلا مشاهدا ولكنني في صباح ذلك اليوم كنت قد رأيت « كازيمير »، وبينما كنت أسمع المزايدات، تملكني ضيق شديد وأنا أفكر في مأساة هذا الغلام، بحيث قررت فجأة أن أومن له حياته في المزرعة التي يتمنى « جراسيان » أن يقيم فيها . ألم تكونا على علم بأنني أصبحت لها مالكا ؟ ودون أن أقدر ما أنا مقدم عليه، وجدتني أرفع المزا، كان هذا جنونا مني، ولكن بهجة الغلام التي كانت تبعث الأسى، كانت لي أعظم مكافأة .

وذهبت إلى هذه المزرعة لقضاء عطلة عيد الفصح وعطلة الصيف التالي، وذلك عند جراسيان، حيث كان يقيم « كازيمير »، وكانت مدام سانت أوريول العجوز لا تزال على قيد الحياة، وكنا قد حاولنا قدر استطاعتنا أن نترك لها أحسن حجرة، وكانت من فرط تقدم سنها وما مر بها من أحداث قد رجعت إلى عهد الطفولة، ولكنها مع ذلك



تعرفت علىّ، بل إنها لم تكن قد نسيت اسمي تماما، فعندما رأنتي جعلت تردد في بادئ الأمر :

- ما ألطف هذا يا سيد « لاس كاز » ما ألطف هذا منك !

فقد كانت تعتقد أنني ما جئت إلى البلدة إلا لزيارتها .

وقالت مطمئنة لى كأنما توضح لى أسباب ما آلت إليه من رقة حال، أو كانت تحاول أن توضحه لنفسها :

- إنهم يقومون ببعض الإصلاحات فى القصر، وسيصبح جميلا للغاية !

ويوم أن عرض الأثاث للبيع، كانوا قد أخرجوها إلى شرفة حجرة الاستقبال، فى كرسىها الكبير ذى المسند، وقدموا لها المحضر على أنه مهندس معمارى شهير حضر خصيصا من باريس ليشراف على الأعمال التى ستنفذ ( كانت تصدق بسهولة كل ما كان يروقه ) ثم قام « جراسيان » و « كازيمير » و « ديلفين » بنقلها إلى تلك الحجرة التى قضى عليها ألا تفارقها، مع أنها ظلت تعيش فيها ثلاثة أعوام أخرى .

وخلال ذلك الصيف الأول الذى أمضيته فى مزرعتى، ثم تعارفى بآل بـ . . الذين تزوجت من ابنتهم الكبرى فيما بعد ، ولم تكن مزرعة « ر » التى آلت إلينا منذ وفاة أهل زوجتى بمنأى عن الكارفورش : وفى كل عام أعود إليها مرتين أو ثلاث مرات، فأتحدث مع جراسيان وكازيمير اللذين يقومان بفلاحة أرضهما على خير وجه،

ويسددان لى بانتظام قيمة الإيجار المتواضعة، وعندما تركتكما منذ قليل  
كنت ذهبت إليهما .

كان الليل قد تقدم بنا عندما ختم « جيار » قصته، إلا أن « جام »  
فى تلك الليلة نفسها، وقبل أن ينام ، كتب مراثيه الرابعة  
التي يقول فيها :

« عندما سألتنى أن أنعى تلك الضيعة المهجورة، حيث الرياح  
العاتية ...

**تمت**

## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .



## المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ل. مدهو بانتيكار	ت : أحمد فؤاد يلينغ
٣ - التراث السويقي	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجيا كارييتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث الساسنى	ميلكا إفيش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأططكي
٨ - مشعل الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغييرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمى محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مختصرويد البليل الأذى ومصر حلى
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وإيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	رويرشن سميث	ت : عيد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسى والأب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويوس سميث	ت : أشرف رفيع عفيفي
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بلشرف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر الساسنى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأصال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم السويقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (٢٥)	ل. مدهو بانتيكار	ت : أحمد فؤاد يلينغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوبى / عيد الوهاب طوب
٣٢ - الانتقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد يلينغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حمزة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحدالة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - راحة سيوة وموسيقاها	بروجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مفيث
٣٩ - الإغريق والهند	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم قنم / محمود ملج
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - الذهب المزوج	أركنافيو ياث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - يعد عدة أصناف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المخوف	ريورت ج دنيا - جون ف إ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المتعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب غلوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمديرة وشفيق اللويد يوسف الأستكي
٥١ - مسار الرواية الإنسانية أمريكية	داريو بيانوييا وخـ م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي	بيشر . ن . نوكاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز ويوجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل نمرdash
٥٣ - الدراما والتعليم	آ . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . ماينكل والتون	ت : محسن مصباحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأصول الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ - الأصول الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز إيتن	ت : صبري محمد عبد الفتى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	ت : مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لغة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المتعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد الحليف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسينويتن	ت : أشرف الصياغ
٦٩ - العالم الإسلامي في قرون العشرة	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهوردا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أريخينو تشانج هـ دروجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسي المعجز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	ج. ب . تومبكينز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر	ل . ا . سيمينوف	ت : حسن بيومي
٧٥ - فن التراجم والسيرة الذاتية	أندريه مورو	ت : أحمد درويش
٧٦ - جاك لاكان وإعلاء التنظير النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد القدوس عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - هيمنة: الفترة الاجتماعية والثقافية لتكوين	روناك روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسينسكى	ت : سعيد القاسمي وناسر حلاوي
٨٠ - بوشكين عند منافرة الموعود	ألكسندر بوشكين	ت : مكسيم الغمري
٨١ - الجماعات المتخيلة	بنكتن أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ - مسرح ميغيل	ميغيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شحبة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرزاق بركات
٨٦ - حلول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ - نون والظلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم السوقي شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتوني جينز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم ميروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومخاضين المسرح	كاراوس ميغل	ت : نادية جمال الدين
الإسبانيون أمريكي المعاصر	مايك فيلرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب طوب
٩٣ - محادثات العولة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٤ - الحب الأول والصحية	أنطونيو بوينو بايخو	ت : سرى محمد محمد عبد الطيف
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني	قصص مختارة	ت : إينوار الخراط
٩٦ - ثلاث زينقات ووردة	فرنان بوردل	ت : بشير السباعي
٩٧ - هوية فرنسا (مع ١)	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصياغ
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	دوفيد روينسون	ت : إبراهيم قنديل
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	بول هيرست وجراهام تومسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠٠ - مساهمة العولة	بيرتار فاليط	ت : رشيد بنحو
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)	عبد الكريم الخطيب	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه أبناء	برتول بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٤ - أوبرا ماهوجني	جيرارجينيت	ت : عبد العزيز شبيب
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	د. ماريا خيسوس روبييرا متي	ت : أشرف على دعدور
١٠٦ - الأدب الأندلسي	نخبة	ت : محمد عبد الله الجمعيدي
١٠٧ - ميرة القرائن في الشعر الأندلسي للعالم		

١٠٨ - ثلاث دراسات من الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب الألبان	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم الثامن	حسنه بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : رهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلات	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحية حصار كونيي سكان المستعمر	وول شويونكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنسية في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	يث يارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين المطلق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - المرأة الصحائية والتغير في الشرق الأوسط	إيلي أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - القليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - أسير العبودية العثمانية ومخاطباتها العربية	نيل الكستندر وفغانولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك تورب ديفي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عيد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان ياسنيت	ت : أميرة حسن نورية
١٢٩ - الرواية الاسميانية المعاصرة	ماريا دولوريس أسيس جاورته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القوية (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العزلة	مايك فيذرستون	ت : عيد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المنظر من قد. س. إيون (ثلاث أجزاء)	ت. س. إليون	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كوني	ت : سمح توفيق
١٣٧ - مفكرات شاميل في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التفرغ بين الجمال والصف	إيلينا تاروني	ت : وحيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسقال	روشارد فاچتر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ وابل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنوير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة القربانة	كارلو جوالدوني	ت : سلامة محمد سليمان



١٤٥ - موت أرثيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليس	ت : علي عبد الرؤوف البيمي
١٤٧ - خطبة الإبانة الطويلة	تاتكريند دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرة والثانية)	إثريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ - النظرة الشعرية على إبيث وأوبليس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برويل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام القراءة	فيولين فاتوك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سايتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال والآن وأديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامي الكنجي	ت : عبد العزيز بقرش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برويل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرايش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإنساني	اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الطيم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوجنا الأسوي	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جورجون مارشال	ت : بلشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهيل الحصارفة
١٦٦ - العلاقات بين الدين والطائفي في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طافور	رايندرانات طاغور	ت : شكري محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من البدعين	ت : شكري محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرائك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التيفيزيون في الحياة اليومية	أورينزو فيلنيس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نمو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيننبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - تطلون تشيفوف	هنري تروايا	ت : حصه إبراهيم منيف
١٧٨ - مشترك من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتش	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي المشري
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز ايندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	يُورْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأب	الوين كرتان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد القاننى
١٩٠ - محاورات كوفوشيويس	كوفوشيويس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامة إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأدبي - ليريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - الهلة الأخيرة	فالتن راسبولين	ت : أشرف الصياغ
١٩٧ - الفارق	شمس العلماء شيلي النعماني	ت : جلال السعيد المنفاري
١٩٨ - الاتصال الجماهيري	إيمون إمري وأخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة النشائية	يعقوب لاندواى	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت : فخرى ليبي
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا روس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبي الحديث جزء	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالي	ت : جلال السعيد المنفاري
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زلمان شاراز	ت : أحمد محمود هويدي
٢٠٥ - الجيئات والشعوب واللغات	لويجي لوكا كافاللي - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهوية تصنع علماً جديداً	جيمس جلاك	ت : علي يوسف علي
٢٠٧ - ليل إفريقي	رامون خوتاسنديز	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصياغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فريديان نوسومير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصرية قديم تفلين شريط بعد قاصر	ريمون فلور	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢١٤ - قواعد جديدة المنهج في علم الاجتماع	أنتوني جينز	ت : محمد محمود محي الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جزء ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصياغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : علي إبراهيم علي منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانو ايشجور	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولى في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شمعية كفافى	جويجورى جوزداتيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيربانر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية فريق	جابريل جاركيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هيرت فورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ - المسرح الإيجاني في القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف يوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مآزق البطل الوحيد	نورمان كيغان	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرش هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج ١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم السموقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روبير فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى مديولى أحمد
٢٣٩ - العربي في الالب الإسرائيلي	جيانرافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وليهاب صلاح فليق
٢٤٠ - الإسلام والغرب، وإمكانية الحوار	كاسي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إيميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج١	لوفي بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الفلبان	لأورا إسكيبيول	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيثا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جركيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفى
٢٤٧ - الثقة البياميرية والعدالة في مصر	ويلتر أرميرست	ت : محمد الشرفاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد الكريم عبد المليم
٢٤٩ - لغة التفرق	دراجو شتامبيوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. آ. سيمينوفكا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف رويشنون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف رويشنون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكاكارت	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : شادية كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كارانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إرنارد مثنوئا	ت : محمد أبو المطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروىكى
٢٦٨ - ديوان شمس تيريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وايم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وايم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأبرية الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستثمار والثروة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عثمان الشههاوى
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - د. س. بيته خاتم رنفا ركاتى سرحا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرائك جوتيران	ت : عبد القادر التمساني
٢٧٧ - الليونات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت : سمير عبد الصمد
٢٨١ - الفريوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرد. الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا ضائق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : على اليمى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	بيوريبندس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الصمد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراهى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعملة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وأخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لوه ج	ت : ماهر البيوطى
٢٨٩ - ديوان مشجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٢ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بولو	ت : رجاء باقرت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كابل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن الصبي بين اليونانية والسورانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواشي	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر نقاربايويو	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومفيوس مج١	لويس عريش	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومفيوس مج٢	لويس عريش	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشئين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - يونانا	جين هوب ويون فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - اللصانة - النقد الكندي للتاريخ	جان - فرانسوا أليوتان	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد باييتو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : محمود عبد المتعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاني	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	تاجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كولجود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بوز	ت : أسعد سليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جيس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرائم في العالم العربي	ميشيل برودنيو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجالي
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زيتكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب العربي في العصور العرف الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتري ياسينيفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لغة السراج لمضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليني برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - بيدهات نثر حبة في عرصة الفن العربي	ديليو. إيوجين كاييناور	ت : خالد مقلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	قرات يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن منقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقرش
٣٢٩ - رسائل عبد الميلاء	قد هويو	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التشيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر الصلوة خمس أخرى	نخبة	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٣٣ - الإسلام في بريطانيا	نيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتيحي العشري
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولا	جوزايا رويس	ت : أحمد الانصاري
٣٣٨ - نظرات حائرة وخمس أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السيد الحفناوي
٣٣٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢	علي أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من راك	راينر ماريا راك	ت : حسن حلمي
٣٤٢ - سلمان وأيسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقرش
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمير	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	يوه نداي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدي	ت : جمال الجزيري
٣٤٧ - السببية الطائشون	جان كوكس	ت : بكر الطو
٣٤٨ - التصية الأولى في الأدب التركي ج١	محمد فؤاد كوبريلي	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - بانوراما الحياة المسيحية	أرقام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الانصاري
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (منشأة)	باسيليو بابلون مالدوناد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (تأنيث)	باسيليو بابلون مالدوناد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٣٥٥ - التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضی	ت : محمود سلامة علاوي
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعي
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامة	نخبة	ت : مصطفى حجازي السيد
٣٥٩ - محاورات بارمنديس	أفلاطون	ت : حبيب الشاروني
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا ياركان	ت : ليلى الشربيني
٣٦١ - التصحر : التهديد والمواجهة	آلان جرينجر	ت : عاتق معتمد وأمال شاور
٣٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقي	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ - حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سام باريس	شارل بولدير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بتيولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ - القلم الجريء	نخبة	٣٦٧ - القلم الجريء
٣٦٨ - المصطلح السردى	جيرالد برنس	٣٦٨ - المصطلح السردى
٣٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العثمانى	٣٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ
٣٧٠ - الفن والحياة في مصر القرونىة	كايرلا لويت	٣٧٠ - الفن والحياة في مصر القرونىة
٣٧١ - القصص الأولى في الأدب التركى ج٢	محمد فؤاد كوبريلى	٣٧١ - القصص الأولى في الأدب التركى ج٢
٣٧٢ - عاشى الشباب	وانغ مينغ	٣٧٢ - عاشى الشباب
٣٧٣ - كيف تعد رسالة نكتواره	أميرتو إيكو	٣٧٣ - كيف تعد رسالة نكتواره
٣٧٤ - اليوم السادس	أندريه شنيد	٣٧٤ - اليوم السادس
٣٧٥ - الظنود	مولان كوندريا	٣٧٥ - الظنود
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين	نخبة	٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين
٣٧٧ - تاريخ الأدب في إيران ج٤	على أصغر حكمت	٣٧٧ - تاريخ الأدب في إيران ج٤
٣٧٨ - المسافر	محمد إقبال	٣٧٨ - المسافر
٣٧٩ - ملك في الحقيقة	ستيل باث	٣٧٩ - ملك في الحقيقة
٣٨٠ - حديث عن الخسارة	جونثر جراس	٣٨٠ - حديث عن الخسارة
٣٨١ - أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	٣٨١ - أساسيات اللغة
٣٨٢ - تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢ - تاريخ طبرستان
٣٨٣ - هدية الحجاز	محمد إقبال	٣٨٣ - هدية الحجاز
٣٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	٣٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال
٣٨٥ - مشترى العشق	محمد على بهزادراد	٣٨٥ - مشترى العشق
٣٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبى للنسوى	جانيت تود	٣٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبى للنسوى
٣٨٧ - لغنيات وسوناتات	جون دن	٣٨٧ - لغنيات وسوناتات
٣٨٨ - مواظع سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	٣٨٨ - مواظع سعدى الشيرازى
٣٨٩ - من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	٣٨٩ - من الأدب الباكستاني المعاصر
٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى
٣٩١ - الحافلة البليكية	مايف بينشى	٣٩١ - الحافلة البليكية
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية
٣٩٣ - في قلب الشرق	نوة لويس ماسينيون	٣٩٣ - في قلب الشرق
٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكين	بول ديفيز	٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكين
٣٩٥ - آلام سينافش	إسماعيل فصيح	٣٩٥ - آلام سينافش
٣٩٦ - السافاك	تقى نجارى راد	٣٩٦ - السافاك
٣٩٧ - نيتشه	لورانس جين	٣٩٧ - نيتشه
٣٩٨ - سارتز	فيليب تودى	٣٩٨ - سارتز
٣٩٩ - كاسى	ديفيد ميروفتس	٣٩٩ - كاسى
٤٠٠ - مومو	مشتياثيل إنده	٤٠٠ - مومو
٤٠١ - الرياضيات	زيانجون ساردر	٤٠١ - الرياضيات
٤٠٢ - هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	٤٠٢ - هوكنج
٤٠٣ - رية للطر والمليس تمنع الناس	توبور شتورم	٤٠٣ - رية للطر والمليس تمنع الناس
٣٦٧ - القلم الجريء	نخبة	٣٦٧ - القلم الجريء
٣٦٨ - المصطلح السردى	جيرالد برنس	٣٦٨ - المصطلح السردى
٣٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العثمانى	٣٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ
٣٧٠ - الفن والحياة في مصر القرونىة	كايرلا لويت	٣٧٠ - الفن والحياة في مصر القرونىة
٣٧١ - القصص الأولى في الأدب التركى ج٢	محمد فؤاد كوبريلى	٣٧١ - القصص الأولى في الأدب التركى ج٢
٣٧٢ - عاشى الشباب	وانغ مينغ	٣٧٢ - عاشى الشباب
٣٧٣ - كيف تعد رسالة نكتواره	أميرتو إيكو	٣٧٣ - كيف تعد رسالة نكتواره
٣٧٤ - اليوم السادس	أندريه شنيد	٣٧٤ - اليوم السادس
٣٧٥ - الظنود	مولان كوندريا	٣٧٥ - الظنود
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين	نخبة	٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين
٣٧٧ - تاريخ الأدب في إيران ج٤	على أصغر حكمت	٣٧٧ - تاريخ الأدب في إيران ج٤
٣٧٨ - المسافر	محمد إقبال	٣٧٨ - المسافر
٣٧٩ - ملك في الحقيقة	ستيل باث	٣٧٩ - ملك في الحقيقة
٣٨٠ - حديث عن الخسارة	جونثر جراس	٣٨٠ - حديث عن الخسارة
٣٨١ - أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	٣٨١ - أساسيات اللغة
٣٨٢ - تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢ - تاريخ طبرستان
٣٨٣ - هدية الحجاز	محمد إقبال	٣٨٣ - هدية الحجاز
٣٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	٣٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال
٣٨٥ - مشترى العشق	محمد على بهزادراد	٣٨٥ - مشترى العشق
٣٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبى للنسوى	جانيت تود	٣٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبى للنسوى
٣٨٧ - لغنيات وسوناتات	جون دن	٣٨٧ - لغنيات وسوناتات
٣٨٨ - مواظع سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	٣٨٨ - مواظع سعدى الشيرازى
٣٨٩ - من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	٣٨٩ - من الأدب الباكستاني المعاصر
٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى
٣٩١ - الحافلة البليكية	مايف بينشى	٣٩١ - الحافلة البليكية
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية
٣٩٣ - في قلب الشرق	نوة لويس ماسينيون	٣٩٣ - في قلب الشرق
٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكين	بول ديفيز	٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكين
٣٩٥ - آلام سينافش	إسماعيل فصيح	٣٩٥ - آلام سينافش
٣٩٦ - السافاك	تقى نجارى راد	٣٩٦ - السافاك
٣٩٧ - نيتشه	لورانس جين	٣٩٧ - نيتشه
٣٩٨ - سارتز	فيليب تودى	٣٩٨ - سارتز
٣٩٩ - كاسى	ديفيد ميروفتس	٣٩٩ - كاسى
٤٠٠ - مومو	مشتياثيل إنده	٤٠٠ - مومو
٤٠١ - الرياضيات	زيانجون ساردر	٤٠١ - الرياضيات
٤٠٢ - هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	٤٠٢ - هوكنج
٤٠٣ - رية للطر والمليس تمنع الناس	توبور شتورم	٤٠٣ - رية للطر والمليس تمنع الناس

ت : طيبة خميس  
ت : حمادة إبراهيم

ديفيد إبرام  
أنثريه جيد

٤٠٤ - تعويذة الحسى  
٤٠٥ - إيزابيل

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٨٤٧ / ٢٠٠٢